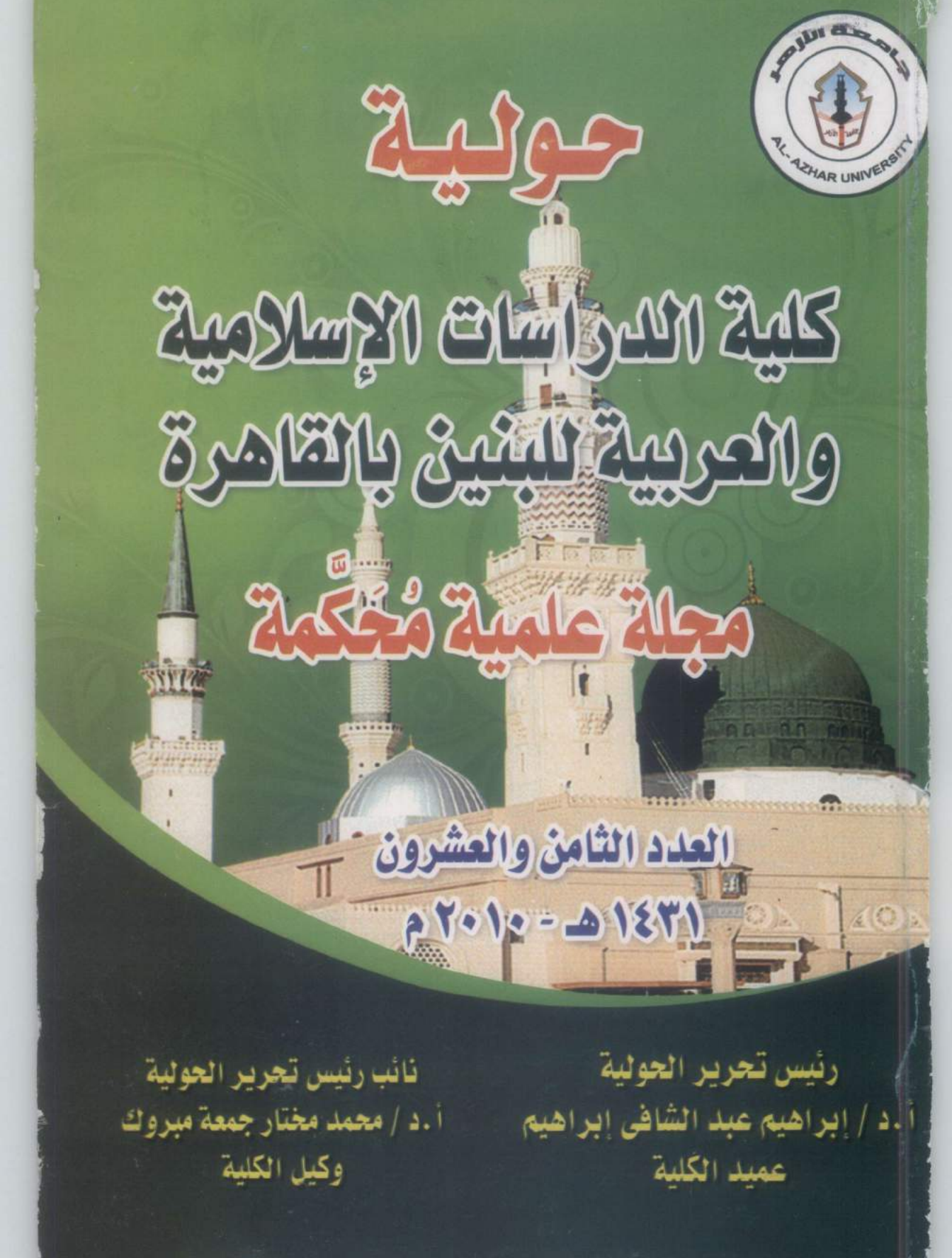

حولية

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

مجلة علمية مُحَكَّمة

العدد الثامن والعشرون

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

رئيس تحرير الحولية

أ.د / إبراهيم عبد الشافى إبراهيم

عميد الكلية

نائب رئيس تحرير الحولية

أ.د / محمد مختار جمعة مبروك

وكيل الكلية

حوليـــة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهـــرة

مجلة علمية محكمة

العدد الثامن والعشرون

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

(الجزء الأول)

رئيس تحرير الحولية
الأستاذ الدكتور
إبراهيم عبد الشافى إبراهيم
عميد الكلية

نائب رئيس تحرير الحولية
الأستاذ الدكتور
محمد مختار جمعة مبروك
وكيل الكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

" وقــل رب زدنـــى علمـــا "

سورة طه : جزء من الآية ١١٤

كلمة رئيس التحرير

مما لاشك فيه أن الحوليات العلمية التى تصدر عن الكليات الجامعية مرآة تعكس النشاط العلمي لهذه الكليات وهى – فى الوقت ذاته – المؤشر الذي يمكن أن يقاس به مدى ارتفاع أو انخفاض دور هذه الكليات فى ميدان البحث العلمي ، والبحوث العلمية المتواصلة – بلا شك – هى الشغل الشاغل للأستاذ الجامعى ؛ الذي ينبغي ألا يفتر عطاؤه سواء قبل الترقية أم بعدها ؛ إذ لا يقتصر هذا العطاء على مجال التدريس أو الإشراف على الرسائل العلمية ؛ بل ينبغي على الأستاذ أن يكرس جهده للبحث العلمي ما استطاع إلى ذلك سبيلا ؛ لان هذا هو ميدانه وحقله .

وها هي حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة تقدم باقة متنوعة – فى العدد الثامن والعشرين لسنة ٢٠١٠ – من البحوث والنتاج العلمي والفكري لنخبة من أعضاء هيئة التدريس المتميزين ، وسيجد القارئ حين يتصفح هذه الحولية أنه أمام دائرة معارف إسلامية وعربية زاخرة بمجموعة من البحوث فى علوم أصول الدين والشريعة الإسلامية واللغة العربية والتي تعد صورة واضحة لأزهرنا العتيق ، الذي كان – ولا يزال – منارة العلم وحصن الإسلام ومرجعية الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها .

وقد حرصت الحولية على انتقاء البحوث الجادة النافعة الهادفة فى العلوم الإسلامية والعربية – عن طريق لجان التحكيم – التى التزمت خط الوسطية ، وابتعدت عن العنصريات والمذهبيات المتزمتة المتعصبة ، ذلك أن فقه الكلمة واحترام وجهات النظر المتعددة فى البحث العلمي الرشيد ، ومراعاة أدب الاختلاف ، يعد أقرب الطرق إلى توحيد الأمة ولم شملها ، والأخذ بيدها إلى بر الأمان والوفاق .

إن غاية ما نسعى إليه هو خدمة ديننا وأمتنا والالتقاء حول مظلة واحدة ، وفهم تراثنا الاسلامي والعربي فهما صحيحا ، ويبقى الأمل معقـودا فـي النهاية على إعادة اللُحمة إلى الصف الاسلامي والوقوف يدا واحدة أمام كـل التحديات .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

أ.د/ إبراهيم عبد الشافى إبراهيم

عميد الكلية ورئيس التحرير

كلمة نائب رئيس التحرير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه .

وبعد :

فإن البحث العلمى الجاد يعد أهم عوامل النهضة والرقى لأى أمة تريد أن تكون فى مصاف الأمم المتقدمة .

وإن قراءة تراثنا الحضارى الإسلامى واللغوى قراءة واعية تشكل منطلقا قويا لنهضة فكرية وعلمية إسلامية وعربية ، فى رؤية عميقة تأخذ من ماضيها ما تبنى عليه حاضرها وتنطلق به فى مستقبلها ، تنبثق من عمق التراث ، ولاتتكئ على الذات ، أو تنعزل عن الحاضر أو تتخلف عنه ، بل تنظر بعين الاعتبار إلى العلوم والدراسات الحديثة والعصرية ، فتأخذ منها النافع والمفيد ، لتثمر فى النهاية شيئا جديدا يتناسب وروح العصر الذى نعيشه، ويشكل أهم ملامح خصوصيتنا الحضارية ، ويكون هويتنا الواقية فى زمن العولمة والتيارات الفكرية والثقافية الوافدة الجارفة .

وإني لأوكد أن فى تراثنا العربى الإسلامى – علميا وفكريا وثقافيا – من الثراء والتنوع ما يدعو بقوة إلى إعادة قراءته قراءة متأنية تنقحه وتمحصه ، وتنفض عنه ما علق به من غبار الزمن ، وتبرز أهم ملامحه من الشمول والوسطية والتيسير ، إذ لا تعرف ثقافة من الثقافات من هذه المعانى ما عرفته الثقافة الإسلامية .

فالفقه عندنا هو التيسير بدليل ، ولم يقل أحد من أهل العلم إنه التشدد بدليل ، ولم يجمد الاجتهاد عند عصر بعينه ، بل إننا ننظر بعين الاعتبار إلى الحال والزمان والمكان ، فما كان راجحا فى عصر وفق ما اقتضته المصلحة فى ذلك العصر قد يصير مرجوحا فى عصر آخر إذا تغير الحال أو وجه المصلحة فى الفتوى مادام ذلك فى ضوء الدليل والمقاصد العامة للشريعة .

كما أننا ننظر بعين التقدير والاحترام إلى الرأى والـرأى الآخـر ، مـادام صاحبه أهلا للنظر ، وله حظ من الفكر والعقل والدليل المعتبر .

وقد كان الأزهر عبر تاريخه – وسيظل – حاملا للرسالة ، مؤديا للأمانة فى ضوء ذلك التنوع وتلك الوسطية ، وسيظل – بإذن الله وعونه – حصـنا حصينا للإسلام واللغة العربية .

وما هذه المجلة التى تصدرها كلية الدراسات الإسـلامية والعربيـة للبنـين بالقاهرة إلا قطرة من فيض بحره العلمى الزاخر .

ولله در هاشم الرفاعى حيث يقول فى قصيدته " الأزهر المكافح" :

وأصبح للإسـلام فى الأرض قبلة ... على بابه لا يرفـع الهام زائـره

فمعقل إرشاد ومنبع حكمـة ... وبحر علوم ليس يدرك آخـره

وهانحن والتاريخ ينهض شاهـدا ... حمـاة تراث ليس يدرك نادره

أليست حياة الضاد بالأزهـر الذى ... تظللـها أفيـاؤه وستائـره

تدفق منه النور كالصبح مشرقـا ... ورف رفيف الروض يختال ناضـره

وبات على هدى الشريعة حارسـا ... فما هو إلا قائم الليل ساهـره

وكان شجا فـى حلـق كل مضلل ... إلى أن نأى عن ساحة الدين تاجـره

سكتنا فقالـوا : العى والعجز داؤهم ... واكبر مايضنى من القول فاجـره

حذار من الليث الكريم فإنـه ... ليوشك أن ينأى عـن الحلم صابـره

فمهما أعدت حولـه من مزالـق ... ستعبرها راياتـه وشعائـره

وليس يمارى فى عظيم جهـاده ... مدى الدهر إلا جاحد الفضل كافـره

وإن ترمـه بالضر يوما يد امرئ ... فذلك بيت الله والله قاهـره

والله ولى التوفيق وكيل الكلية

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك

هيئة تحرير الحولية

١- رئيس التحرير

أ.د/ إبراهيم عبد الشافى إبراهيم

عميد الكلية

٢- نائب رئيس التحرير

أ.د/ محمد مختار جمعه مبروك

وكيل الكلية

٣- أعضاء أسرة التحرير

الأستاذ الدكتور/ فوزى السيد عبد ربه

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

الأستاذ الدكتور/ المحمدى عبد الرحمن عبد الله

رئيس قسم أصول الدين

الأستاذ الدكتور/ عباس عبد اللاه عباس شومان

رئيس قسم الشريعة الإسلامية

الأستاذ الدكتور/ محمد المختار محمد المهدى

الأستاذ غير المتفرغ بالكلية

سكرتير التحرير

السيد/ عادل مدبولى أمين

إيضاح

١- حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة هى مجلة علمية محكمة تصدر مرة كل عام.

٢- تعنى الحولية بنشر البحوث العلمية التى تتميز بالأصالة والجدة فى مجال الدراسات الإسلامية والعربية.

٣- تخضع البحوث العلمية المقدمة للنشر بها للتحكيم العلمى السرى من قبل اثنين من الأساتذة المتخصصين فى مجال البحث المقدم .

٤- الدراسات والمقالات المنشورة فى هذه الحولية تعبر عن آراء وأفكار أصحابها ، وهى على مسئوليتهم الكاملة ، ولا تمثل - بالضرورة - رأى الحولية أو اتجاهها .

٥- ترتيب الموضوعات فى الحولية يخضع لأمور فنية لا علاقة لها بأهمية البحث أو مكانة البحث .

قسم اللغة العربية وآدابها

١) المطابقة وأحكامها

دراسة نحوية تطبيقية

د/ عوض إسماعيل عبد الله

٢) النيابة في الأبواب النحوية

د/ الشحات أحمد بدوى السماحى.

٣) الحس الإسلامى في كتاب النظرات للمنفلوطى

وأثره في مضامينه وأسلوبه

د/ مصطفى عبد الرحمن إبراهيم

٤) ترميز الطبيعة في شعر إيليا أبو ماضى

د/ عيسى محمد إبراهيم

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين - بالقاهرة

المطابقة وأحكامها

دراسة نحوية تطبيقية

د/ عوض إسماعيل عبد الله
أستاذ اللغويات المساعد بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ..

فإن اختيار موضوع في الدرس النحوي للبحث والكتابة أمر يحتاج من الباحث إلى التدقيق والاهتمام حتى لا يكون الموضوع الذي قصد إليه مكرراً أو معاداً ، فيكون التناول له ضرباً من العبث أو التكرار الذي لا فائدة فيه .

وقد شاء الله تعالى أن أصلي العشاء ذات ليلة خلف إمام رزقه الله صوتاً ندياً وأداءً طيباً كان سبباً في تدبر ما يتلو من آيات ، وكان قد قرأ فيما قرأ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ (١) ولفت نظري مرجع الضمير (هُنَّ) وهو جمع لمؤنث إلى (السماء) وهي مفرد ، وبعد انتهاء الصلاة عدت إلى مكتبتي باحثا عن سرِّ هذه المخالفة — إن صح التعبير — فوجدت للعلماء فيه اتجاهاتٍ وتفسيراتٍ لغوية ونحوية ومعنوية ، ساعتها تذكرت ما قاله النبي ﷺ في القرآن فيما رواه علي — رضي الله عنه — قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ستكون فتن كقطع الليل المظلم . قلت يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ، وخبر من بعدكم ، وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم . وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه

---

(١) البقرة : ٢٩ .

الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد " [1] .

وكانت هذه الآية المباركة منطلقا لهذه الدراسة ، مؤصلة لها من حيث الإفادة من تراث النحاة المتقدمين والمتأخرين ، والتطبيق عليها من آيات الذكر الحكيم بصورة أساسية ، ومن الحديث النبوي الشريف ، وأشعار العرب الفصحاء ونثرهم تتميماً للفائدة .

وجعلت هذه الدراسة بعنوان : (**المطابقة وأحكامها دراسة نحوية تطبيقية**) وقد جاءت الدراسة بعد هذه المقدمة في تمهيد وستة مباحث وخاتمة .

أما التمهيد فقد تناولت فيه معنى المطابقة في اللغة ، ومعناها الدائر في كتب النحاة اصطلاحاً ، ومباديها في الدرس النحوي .

والمبحث الأول : المطابقة في باب الضمائر .

والثاني : المطابقة في باب المبتدأ والخبر .

والثالث : المطابقة في باب الفاعل .

والرابع : المطابقة في باب التوابع : النعت ، عطف البيان ، عطف النسق ، التوكيد ، البدل .

والخامس : المطابقة في باب (أفعل التفضيل) .

والسادس : المطابقة في باب العدد .

وأما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث .

/ وكان منهجي في البحث :

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٥ : ١٥٨ .

- التأصيل للقاعدة نحوياً من كتب النحاة واللغويين .
- الاستشهاد للقاعدة من آيات الذكر الحكيم . وبيان ما فيها من أحكام وضوابط نحوية للمطابقة .
- ذكر بعض الآيات القرآنية التي ورد ظاهرها مخالفاً لهذه الأحكام والضوابط ، وبيان أقوال العلماء وتخريجاتهم فيها ، وترجيح الراجح منها بالدليل ، مع بيان السرّ في هذه المخالفة ــ صناعياً ، ومعنوياً ــ ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، وكذلك بعض الأحاديث النبوية ، والنماذج الشعرية .

وهذه الدراسة ليست مقصورة في تطبيقاتها على الآيات القرآنية وحدها ، بل هي دراسة نحوية تطبيقية على العموم ولكني رأيتني أجذب جذباً إلى القرآن الكريم محبة مني وشغفاً بكتاب الله تعالى ، ولذا غلب الجانب التطبيقي من الآيات القرآنية على غيره من جوانب التطبيق الأخرى شعراً ونثراً .

وهذه الدراسة محاولة بحثية متواضعة أفادت من جهود علماء سابقين ، وإضافة بجهد قليل يسير بما فتح الله تبارك وتعالى به عليّ ، وإني لأرجو أن أكون قد ألهمت السداد فيما كتبت ، وأن يُغفَر لي ما قد زللت فيه وشططت . فهو اجتهاد بشري يحتمل الخطأ والصواب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أ.د/ عوض إسماعيل عبد الله

أستاذ اللغويات المساعد في كلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنين ــ القاهرة

تمهيد

معنى المطابقة :

جاء في لسان العرب : " وتطابق الشيئان : تساويا ، والمطابقة : الموافقة ، والتطابق : الاتفاق ، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حد واحد وألزقتهما ، وهذا الشيء وفق هذا ووفاقه وطباقه وطابقه وطبقه وطبيقه ومطبقه وقالبه ، بمعنى واحد " (١) .

وفي الحقيقة بحثت في كتب النحو قديمها وحديثها فلم أقع على تعريف للمطابقة بالمعنى الاصطلاحي المستعمل لدي النحاة في كتبهم .

ولكني ــ حاولت ــ أن أعرف بها من خلال تداول المعنى لدي النحاة فقلت :

هي مظهر من مظاهر اللغة اقتضته الصناعة اللفظية في بعض الأبواب النحوية لضبط العبارة لفظاً ، وتوضيحها معنى .

وأما ميادينها فهي :

المطابقة في العدد (الإفراد والتثنية والجمع) وفي الجنس (التذكير والتأنيث) ، وفي التعريف والتنكير وفي الإعراب (رفعاً ونصباً وجراً)

وقد وجدت المطابقة في هذه الأمور باللفظ ذاته عند بعض النحاة . فهذا ابن مالك يقول عند حديثه عن الحالة الثانية من حالات أفعل التفضيل وهي حالة اقترانه بالألف واللام : " ولابد له حينئذ من مطابقة ما هو له فيقال : زيد الأفضل ، والزيدان الأفضلان ، والزيدون الأفضلون ، وهند الفضلى ، والهنديان الفضليان ، والهندات الفضليات أو الفضّل " (٢) .

---

(١) ينظر : لسان العرب ١٠ : ٢٠٩ ـ ٢١٠ (طبق) .
(٢) الكافية الشافية ١ : ٥٠٩ .

وكذلك ابن هشام حيث يقول : " أن يكون بأل ، فيجب له ــ حينئذ ــ حكمان : أحدهما أن يكون مطابقاً لموصوفه " [١] .

ويقول أبو حيان : " واحتيج إلى الحذف ليطابق المبتدأ الخبر " [٢] .

ويقول الشيخ يس : " ويستعمل مقروناً بأل فيطابق وجوباً موصوفه إفراداً وتذكيراً وفرعيهما " [٣] .

وقد يعبرون عن المطابقة بالإتباع .

يقول ابن السرّاج :" والنعت يتبع المنعوت في رفعه ونصبه وخفضه "[٤]

ويقول في موضع آخر : " حروف العطف عشرة أحرف يتبعن ما بعدهن ما قبلهن من الأسماء والأفعال في إعرابها " [٥] .

ويقول ابن الأنباري :" فإن قيل : ففي كم حكماً تتبع الصفة الموصوف ، قيل : في عشرة أشياء ، في رفعه ونصبه وجره ، وإفراده وتثنيته وجمعه ــ وتذكيره وتأنيثه ، وتعريفه وتنكيره " [٦] .

ويقول الرضي :" وإنما تبعه في هذه العشرة لكونه إياه في المعنى " [٧] ــ يقصد في عطف البيان ــ .

ويقول ابن هشام : " وحكم المعطوف أنه يتبع المعطوف عليه في أربعة من عشرة ، واحد من الرفع والنصب والجر ، وواحد من التعريف

---

(١) أوضح المسالك ٣ : ٢٩٤ .
(٢) البحر ٤ : ٣ .
(٣) حاشية يس على الفاكهي ٢ : ٢٠٩ .
(٤) الأصول ٢ : ٣٩ .
(٥) المصدر السابق ٢ : ٥٥ .
(٦) أسرار العربية : ٢٩٤ .
(٧) شرح الكافية ٢ : ٣٠٧ .

والتذكير ، وواحد من الإفراد والتثنية والجمع ، وواحد من التذكير والتأنيث " [١] .

ووجدت سيبويه يعبر عن المطابقة بمعناها حيث يقول : " واعلم أن المعرفة لا توصف إلا بمعرفة ، كما أن النكرة لا توصف إلا بنكرة " [٢] .

وكذلك الفرّاء حيث يقول : وقوله : ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ [٣] والسبط : ذُكّر لأن بعده أممًا ، فذهب التأنيث إلى الأمم ، ولو كان اثنى عشر لتذكير السبط كان جائزا " [٤] فالفرّاء يوضح أن تأنيث العدد (اثنتى عشرة) إنما كان لأن المعدود أمة . فكانت المطابقة ، ولو كان المقصود بالعدد الأسباط . لكان مذكرا (اثنى عشر) .

ونخلص من هذا أن معنى المطابقة اصطلاحاً مستعمل في كتب النحاة بذات اللفظ . أو بلفظ الإتباع ، أو بالمعنى المقصود منها .

---

(١) شرح شذور الذهب : ٤٣٦ .
(٢) الكتاب 2 : ٣٠٢ .
(٣) الأعراف : ١٦٠ .
(٤) معاني القرآن ١ : ٣٩٧ .

المبحث الأول

المطابقة في باب الضمير

الضمير: هو عبارة عما دل على متكلم نحو: أنا ونحن ، أو مخاطب نحو : أنت وأنتما ، أو غائب نحو : هو وهما ، وإنما سمي مضمراً من قولهم : أضمرت الشيء إذا سترته وأخفيته ، ومنه قولهم : أضمرت الشيء في نفسي ، أو من الضمور وهو الهزال ؛ لأنه في الغالب قليل الحروف ، ثم تلك الحروف الموضوعة له غالبًا مهموسة ، وهي التاء والكاف والهاء ، والهمس : هو الصوت الخفي [١] .

وبعض النحاة يسمون الباب بالمضمر ، وهو ــ حينئذٍ ــ اسم مفعول من أضمرته إذا أخفيته وسترته ، وإطلاقه على الضمير البارز توسع ، والضمير بمعنى المضمر على حد قولهم : عقدت العسل فهو عقيد ، أي : معقود ، وهو اصطلاح بصري ، وأما الكوفيون فيسمونه : كناية ، ومكنيا لأنه ليس باسم صريح [٢] .

وليس مجال حديثنا ــ الآن ــ عن أقسام الضمير باعتباراته وتفريعاته المختلفة من حيث اتصاله أو انفصاله ، أو من حيث ظهوره أو استتاره .. الخ .

إنما حديثنا عن مطابقة الضمير لما يعود إليه تذكيرًا وتأنيثًا ، وإفرادًا وتثنية وجمعا .

ومن المعروف أن الضمير مبهم غامض لا يتضح المقصود منه إلا بما يعود إليه ، فأما ضمير المتكلم أو ضمير المخاطب فالمقصود منهما واضح بوجود ما يدلان عليه في الكلام ، حيث إن ضمير المتكلم يدل على من

---

(١) ينظر : شرح شذور الذهب تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد : ١٣٤ .
(٢) ينظر : شرح التصريح طبعة الحلبي ١ : ٩٥ ، وشرح الأشموني ١ : ١٠٩ .

يتكلم عن نفسه الآن ــ في أثناء الحديث ــ وكذلك ضمير المخاطب يدل على من يكلمه غيره ــ أيضا ــ الآن ؛ أقول : أنا صادق ، فالضمير (أنا) يدل على من يتكلم عن نفسه ويخبر بأنه صادق ، وأقول : أنت صادق ، فالضمير (أنت) يدل على من أكلمه وأتوجه إليه بالحديث الآن وأخبر عنه بأنه صادق .

أما ضمير الغائب فهو ضمير "صاحبه غير موجود ولا معروف ، ولذا كان لابد له من مرجع يعود إليه ليبين المقصود منه ويفسره ، هذا المرجع الأصل فيه أن يكون متقدمًا على الضمير وجوبًا [1] وأن يعود إليه إفرادًا وتثنية وجمعًا ، تذكيرًا وتأنيثًا ، وعلى ذلك فمجموع صور مطابقة الضمير لمرجعه ست صور :

الأولى : عود الضمير إلى مرجعه مفردًا مذكرًا :

إذا كان مرجع الضمير مفردًا مذكرًا وجبت مطابقته لمرجعه في الإفراد والتذكير ، قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فاكتبوه ﴾ [4]

الثانية : عود الضمير إلى مرجعه مفردًا مؤنثًا :

إذا كان مرجع الضمير مفردًا مؤنثاً وجبت مطابقته لمرجعه في الإفراد والتأنيث ، قال تعالى : ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ ﴾ [5]

---

(١) قد يخالف هذا الأصل فيعود الضمير على متأخر في مواطن . ينظر : الأشباه والنظائر 2 : 51 ، شرح شذور الذهب : ١٣٦ .

(٢) يونس : ٢٥ .

(٣) البقرة : ٢٨١ .

(٤) البقرة : ٢٨٢ .

(٥) هود : ٧١ .

الثالثة : عود الضمير إلى مرجعه مثنى مذكرًا :

إذا كان مرجع الضمير مثنى مذكرًا وجبت مطابقته له في التثنية والتذكير نحو قوله تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ (١)

الرابعة : عود الضمير إلى مرجعه مثنى مؤنثا :

إذا كان مرجع الضمير مثنى مؤنثا وجبت مطابقته له في التثنية والتأنيث نحو قوله تعالى : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ (٢)

الخامسة : عود الضمير إلى مرجعه مجموعًا مذكرًا :

وإذا كان مرجع الضمير مجموعًا مذكرًا وجبت مطابقته له في الجمعية والتذكير ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ (٣) .

السادسة : عود الضمير إلى مرجعه مجموعًا مؤنثًا :

إذا كان مرجع الضمير مجموعًا مؤنثا وجبت مطابقته له في الجمعية والتأنيث نحو قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا (٤) .

هذه هي الصور التي يرد فيها الضمير مطابقًا لمرجعه إفرادًا وتثنية وجمعًا، تذكيرًا وتأنيثا، وقد ورد في القرآن الكريم بعض الآيات التي أشكل فيها ــ في الظاهر ــ عدم مطابقة الضمير لمرجعه ، ومن هذه الآيات :

---

(١) الرحمن : ١٩ ، ٢٠ .
(٢) الرحمن : ٥٠ .
(٣) محمد : ٢ .
(٤) يوسف : ٣١ .

١ ــ قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ (١) .

فقد عاد الضمير في (استوقد) على (الذي) مفردًا مذكرًا ، وأما في (بنورهم) فقد عاد إليه ــ كما نرى ــ جمعًا مذكرًا .

وقد وجه العلماء جمع الضمير في (بنورهم) عائداً إلى (الذي) وهو مفرد توجيهات كلها تدور حول أمرين رئيسين :

أولهما : أن (الذي) مفرد لفظاً جمع معنى ، فمعناه : الذين ، أي : مثلهم كمثل الذين استوقدوا ، فالذين بمعنى (الفريق ، أو الفوج) ، فأراد بـ (الذي) هنا جنس المستوقد لا فرداً بعينه .

والثاني : أن الأصل (الذين) ، ثم حذفت النون لطول الكلام .

يقول الفرّاء (٢) : " وإنما قال الله عز وجل : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ لأن المعنى : ذهب إلى المنافقين فجمع لذلك ، ولو وُحِّد لكان صوابا " (٣) فالواضح من كلام الفرّاء أن (الذي) هنا بمعنى (الذين) فهو مفرد في اللفظ جمع في المعنى .

ويقول العكبري (٤) : " الذي : ها هنا مفرد في اللفظ والمعنى على الجمع بدليل قوله تعالى : ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ وما بعده ، وفي وقوع المفرد هنا موقع الجمع وجهان : أحدهما : هو جنس ، مثل : من ، وما ، فيعود الضمير إليه تارة بلفظ المفرد ، وتارة بلفظ الجمع ، والثاني : أنه أراد

---

(١) البقرة : ١٧ .

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله إمام الكوفيين في اللغة بعد الكسائي صنف معاني القرآن ، والجمع والتثنية ، والمقصور والممدود . توفى ٢٠٧هـ . ينظر : بغية الوعاة ٢ : ٣٣٣ .

(٣) معاني القرآن ١ : ١٥ .

(٤) هو أبو البقاء عبد القادر الضرير ولد ببغداد وتلقى النحو عن ابن الخشاب ، من أهم كتبه : إملاء ما من به الرحمن ، توفى ببغداد : ٦١٦هـ .

(الذين) فحذفت النون لطول الكلام بالصلة ، ومثله قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [١] ، [٢]

وما أميل إليه وأرجحه حمل (الذي) على معنى (الذين) وهو ما نص عليه الفراء ، لأنه نزل (الذي) منزلة (مَنْ) ، و (مَنْ) يعود إليها الضمير مفردًا تارة ، ومجموعًا تارة أخرى ، فالأول كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ [٣] والثاني كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ [٤]

٢ ــ قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ [٥]

فقد عاد الضمير في (فسواهن) مجموعًا إلى مفرد وهو (السماء) ، لأن السماء في معنى الجمع ، حيث إنه من المعروف أن السماوات سبع مثل الأرض ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [٦]

فقد عاد الضمير إليهما مجموعًا في (بينهن) ، وقد يعود إليهما مفردًا كما في قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾ [٧] ولم يقل (بينهن) .

يقول الفراء : " فأما قوله (ثم استوى إلى السماء فسواهن) فإن السماء في معنى جمع ، فقال (فسواهن) للمعنى المعروف أنهن سبع سماوات ، وكذلك الأرض يقع عليها ــ وهي واحدة ــ الجمع ، ويقع عليهما التوحيد

---

(١) الزمر : ٣٣ .
(٢) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٢٠ ، ٢١ .
(٣) محمد : ١٦ .
(٤) يونس : ٤٢ .
(٥) البقرة : ٢٩ .
(٦) الطلاق : ١٢ .
(٧) الصافات : ٥ .

وهما مجموعتان ، قال الله عز وجل (رب السماوات والأرض) ، ثم قال (وما بينهما) ولم يقل : بينهن ، فهذا دليل على ما قلت لك [١] .

وقد ذهب أبو البركات بن الأنباري [٢] إلى أن (السماء) جمع (سماوة) كـ (بُرّة) و (بُرّ) ، و (ذَرّة) و (ذر) ، فلما حذفت التاء الدالة على الوحدة انقلبت الواو همزة لوقوعها طرفًا وقبلها ألف زائدة [٣] ، وعليه فلا إشكال في عود الضمير مجموعاً لأنه ــ حينئذٍ ــ قد عاد إلى جمع يجوز معه عود الضمير مفردًا أو مجموعًا .

وتبعه في هذا التوجيه ابن الشجري [٤] حيث يقول : " من العرب من يذكر السماء ، وفي تذكيرها وجهان : أحدهما : أنها جمع سماوة ، كسحابة وسحاب ، ونخل ونخلة ، وهذا الضرب من الجمع قد ورد فيه التذكير والتأنيث ، فالتذكير في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ ﴾ [٥] ، و ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [٦]، والتأنيث في قوله: ﴿ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [٧]، ويدل على أن السماء جمعٌ إعادة ضمير الجمع إليها في قوله : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ ﴾ [٨] كما دل وصفِ السحاب بالجمع في قوله : ﴿ وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ [٩] على أنه جمع ، والوجه الآخر

---

(١) معاني الفراء ١ : ٢٤ ، وينظر : الدر المصون ٢٤٣/١ .
(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله كمال الدين أبو البركات بن الأنباري ولد ٥١٣هـ ومن أشهر كتبه البيان في غريب إعراب القرآن . توفى ٥٧٧هـ . إنباه الرواة ٢ : ١٧١ .
(٣) البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٦٨ .
(٤) هو أبو السعادات هبة الله بن علي الشريف البغدادي . له : الأمالي ، توفى : ٥٤٢هـ ، ينظر : البغية ٢ : ٣٢٤ .
(٥) البقرة : ١٦٤ .
(٦) القمر : ٢٠ .
(٧) الحاقة : ٧ .
(٨) البقرة : ٢٩ .
(٩) الرعد : ١٢ .

ـ أي من وجهي تذكير السماء ـ أن السماء سقف الدنيا كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [١] فمن ذكّرها ؛ لأنه ذهب بها هذا المذهب فهو قول حسن كالأول ، وعليها يحمل قوله تعالى : ﴿ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ [٢] وقول الشاعر :

فلو رفع السماءُ إليه قومًا لحقنا بالسماء مع السحاب [٣]

وقد عاد الضمير إلى (السماء) مفردًا مؤنثًا كما في قوله تعالى : ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴾ [٤] ويؤيده ـ أيضا ـ قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ [٥] ، يعود الضمير في (تشابه) مفرداً مذكراً على (البقر) ، على أن (تشابه) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره (هو) .

وقرئ (تشّابهُ) بضم الهاء مع تخفيف الشين على تأنيث البقر [٦] ، وقرئ كذلك (تشّابهُ) بضم الهاء مع تشديد الشين [٧] والأصل : تتشابه فأبدلت التاء الثانية شيناً ثم أدغمت [٨] ، وعلى هاتين القراءتين يكون الفعل مضارعاً استتر فيه ضمير مؤنث تقديره : (هي) .

وعليه فإنني أرجح أن يكون عود الضمير في " فسواهن " إلى (السماء) ـ وهي مفرد ـ مجموعًا مراعاة لمعنى الجمعية فيها حيث إنهن سبع

---

(١) الأنبياء : ٣٢ .
(٢) المزمل : ١٨ .
(٣) الأمالي الشجرية ٣ : ٩٣ ـ ٩٤ ، وينظر : إملاء ما من به الرحمن ١ : ٢٧ والمخصص لابن سيده ١٧ : ٢٢ .
(٤) النازعات : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .
(٥) البقرة : ٧٠ .
(٦) نسبها ابن خالويه إلى الحسن . مختصر في شواذ القراءات : ١٤ .
(٧) نسبها ابن خالويه إلى ابن مسعود . المصدر السابق الصفحة نفسها .
(٨) ينظر : إملاء ما من به الرحمن ١ : ٤٣ .

سماوات كما أن الأرضين كذلك . وليست جمعًا على الحقيقة كما ذهب إلى ذلك العكبري وابن الشجري .

٣ ــ قال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [١] .

فقد عاد الضمير ــ في الظاهر ــ مفردًا مؤنثًا في (إنها) على (الصبر والصلاة) ، ومقتضى الظاهر أن يقال : وإنهما .

اختلف العلماء في عود الضمير من قوله تعالى : (وَإِنَّهَا) على عدة أقوال [٢] :

١ ــ قيل إنه عائد إلى (الصلاة) وحدها ، وفسروا (الصبر) في الآية بالصوم ، وعللوا لذلك بأن الصلاة فيها سجن النفوس ، والصوم إنما فيه منع الشهوة ، فليس من منع شهوة واحدة أو شهوتين كمن منع جميع الشهوات ، فالصائم إنما منع شهوة النساء والطعام والشراب ثم ينبسط في سائر الشهوات من الكلام والمشي والنظر إلى غير ذلك من ملاقاة الخلق فيتسلى بتلك الأشياء عما منع ، والمصلي يمتنع من ذلك كله فجوارحه كلها مقيدة بالصلاة ، وإذا كان ذلك كانت الصلاة أصعب على النفس ومكابدتها أشد فلذلك قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ . أي لثقيلة [٣] .

٢ ــ وقيل : إن الضمير عائد عليهما معاً : الصوم والصلاة ولكن عاد الضمير على الأغلب وهو الصلاة كقوله تعالى : ﴿ والذين يكنزون

---

(١) البقرة : ٤٥ .

(٢) تنظر هذه الأقوال وتخريجاتها في مشكل مكي : ٦٣ ، البيان لابن الأنباري ١ ٧٩٠ ، النسفي ١ : ٤٦ ، إملاء ما من به الرحمن ١ : ٣٤ ، تفسير البيضاوي ١ : ١٥٧ ، القرطبي ١ : ٣٧٣ ، البحر ١ : ٣٤١ ، الدر ١ : ٣٣٠ .

(٣) ينظر القرطبي ١ : ٣٧٣ .

الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ [١] حيث رد الضمير إلى الأغلب والأعم وهو (الفضة) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا ﴾ [٢] حيث رد الضمير إلى الأفضل والأهم وهو (التجارة) [٣] .

٣ ــ وقيل : إن الضمير عائد إلى الاستعانة بهما [٤] ، أي : على المصدر المتصيد من قوله تعالى : " واستعينوا "

٤ ــ وقيل : إنه عائد إلى الصلاة [٥] ؛ لأن الصبر داخل" في الصلاة ، كما قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ [٦]، ولم يقل : يرضوهما؛ لأن رضا الرسول ﷺ داخل في رضا الله عز وجل[٧]

٥ ــ وقيل إنه عائد إلى كل واحد منهما ، لكن حذف اختصاراً كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [٨] ولم يقل : آيتين . ومنه قول الشاعر [٩] :

فمن يك أمسى بالمدينة رحله ... فإني وقيار بها لغريب

فقال : لغريب ، ولم يقل : لغريبان .

---

(١) التوبة : ٣٤ .
(٢) الجمعة : ١١ .
(٣) تفسير البيضاوي ٥ : ٣٠٩ .
(٤) النسفي ١ : ٤٦ ، البيضاوي ١ : ١٥٧
(٥) إملاء ما من به الرحمن ١: ٣٤ ، النسفي ١ : ٤٦ .
(٦) التوبة : ٦٢ .
(٧) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٧ .
(٨) المؤمنون : ٥٠ .
(٩) هو ضابئ بن الحارث البرجمي ، والبيت من الطويل ، قاله وهو محبوس في المدينة في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، وقيار : اسم جمله ، وقيل : اسم فرسه وقيل : اسم رجل والمعنى أنه : يتحسر على غربته ، ويقول : إذا كان كل واحد من الناس قد أمسى بين خلانه وعشيرته فإني غريب في بلد ناء عن الأهل والرفاق . عقيل ١: ٣٥٩

٦ ــ وقيل : إن الضمير عائد على العبادة التي يتضمنها بالمعنى ، ذكر الصبر والصلاة [١] .

٧ ــ وقيل : إنه عائد على إجابة محمدٍ ﷺ ؛ لأن الصبر والصلاة مما كان يدعون إليه .

٨ ــ وقيل : على الكعبة ، لأن الأمر بالصلاة إنما هو إليها . [٢] وكان التحول إلى الكعبة شديداً على اليهود [٣]

وهذه التوجيهات كلها مقبولة ولا يرفضها المعنى ولا تتعارض مع الصناعة اللفظية . إلا أنني أميل وأختار التوجيه الأول وهو عود الضمير إلى الصلاة تمشياً مع القاعدة التي تقول : الضمير يعود إلى أقرب مذكور[٤] ، ولأن الصبر (الصوم) داخل فيها ، فهي جامعة لأنواع العبادات نفسية كانت أو بدنية ، ففيها الخشوع وإخلاص النية ، ومجاهدة الشيطان ، والطهارة الظاهرة والباطنة وغير ذلك ، قال أبو حيان عن هذا الوجه : "الضمير عائد على الصلاة هذا ظاهر الكلام وهو القاعدة في العربية أن ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل" [٥] .

٤ ــ قال تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [٦] .

---

(١) البحر ١ : ٣٤١ .
(٢) مشكل مكي : ٦٣ .
(٣) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٣٤ .
(٤) يُنظر البرهان ٤/٣٠ .
(٥) البحر ١ : ٣٤١ .
(٦) البقرة : ١٨٠ ـ ١٨١ .

فقد عاد الضمير وهو مفرد مذكر في (بدله) ـ في الظاهر ـ على (الوصية) وهي مفرد مؤنث .

وقد وجّه العلماء عود الضمير مذكراً في (بدله) على ستة أقوال :

الأول : أنه عائد على (الوصية) وإن كانت بلفظ المؤنث إلا أنها في معنى المذكر وهو الإيصاء [١] ـ أي : فمن بدل الإيصاء .

الثاني : أنه عائد على نفس الإيصاء المدلول عليه بالوصية إلا أن اعتبار المذكر في المؤنث قليل وإن كان مجازيًا [٢] .

الثالث : أنه عائد على مصدر الفعل (كتب) أي : على (الكتْب) [٣] والمعنى : فمن بدل الكتْبَ .

الرابع : أنه عائد على (الحق) أي : فمن بدل الحقّ .

الخامس : أنه عائد على (المعروف) ، أي : فمن بدل المعروف .

السادس : أنه عائد على الأمر والفرض الذي أمر الله به وفرضه [٤] والمعنى : فمن بدل الأمر أو الفرض الذي أمر به الله جلا وعلا ..

والذي أميل إليه وأرجحه من هذه التوجيهات : أن الضمير في (بدله) عائد على معنى (الإيصاء) إذ إن الحمل على المعنى كثير جداً في كلامهم أو أنه عائد على الكتابة ، لأن الذي يلحقه التبديل والتغير الوصيةُ نفسها ، أو الكتابة وهذا هو المعنى المتبادر إلى الذهن ، وهذان الوجهان اقتصر عليهما ابن الأنباري [٥] ولم يذكر غيرهما .

---

(١) البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ١٤٢ والنهر الماد ١ : ١٧٣ .
(٢) حاشية الجمل ١ : ١٤٤ .
(٣) البيان 1 : 142 ، إملاء ما من به الرحمن ١ : ٧٩ .
(٤) ينظر : إملاء ما من به الرحمن ١ : ٧٩ ، حاشية الجمل ١ : ١٤٤.
(٥) البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ١٤٢ .

٥ ــ قوله تعالى : ﴿ فَمَآ آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ﴾ (١)

فالضمير في (ملئهم) مجموع وفي جمعه لوجه (٢) :

أحدها : أنه عائد على الذرية على أنها مذكرة في المعنى فهي بمعنى (قوم) .

والثاني : أنه عائد على (قوم) أي : على خوف من فرعون ومن أشراف بني إسرائيل .

والثالث : أنه عائد على (فرعون) وهو مفرد وعاد إليه الضمير مجموعاً لأحد وجهين :

أولهما : أن (فرعون) كان عظيمًا عند قومه من حيث علوه ، وفساده ، وإيغاله في الشر ، وتسلطه على العباد ، وتكبره عليهم بل وتألهه كما يقول المعظم نفسه : نحن نأمر بكذا .

وثانيهما : أن (فرعون) اسم لأتباعه ، كما أن (ثمود) ، و (مضر) و (ربيعة) أسماء للقبائل .

وقد علل الفراء لجمع الضمير في (ملئهم) قائلا : " وإنما قال (وملئهم) وفرعون : واحد ؛ لأن الملك إذا ذكر بخوف أو بسفر أو بقدوم من سفر ذهب الوهم إليه وإلى من معه ؛ ألا ترى أنك تقول : قدم الخليفة فكثر الناس ، تريد : بمن معه ، وقدم فغلت الأسعار ؛ لأنك تنوي بقدومه قدوم من معه ، وقد يكون أن تريد بفرعون آل فرعون، وتحذف الآل فيجوز "(٣)

---

(١) يونس : ٨٣ .

(٢) ينظر : مشكل مكي : ٣٣٥ ، البيان ١ : ٤١٩، إملاء ما من به الرحمن ٢ : ٣٢ ، تفسير البيضاوي ٢: ٥٢٦ ، أبو السعود ٤ : ١٧٠ ، مقالات هامة لابن هشام : ٨٧.

(٣) معاني القرآن ١ : ٤٧٦ ، ٤٧٧ .

ولم يرتض العكبري هذا التوجيه الثاني ، وغلط من قال به حيث قال : " وهذا عندنا غلط ؛ لأن المحذوف لا يعود إليه ضميره ، إذ لو جاز ذلك لجاز أن تقول : زيد قاموا وأنت تريد : غلمان زيد قاموا " [١]

والرابع : ما ذهب إليه مكي من أن الضمير جمع لأنه إخبار عن جبار ، والجبار يخبر عنه بلفظ الجمع [٢] .

وما أميل إليه أن الضمير في (ملئهم) عائد إلى (الذرية) على أنها مذكرة في المعنى ، فهي بمعنى (قوم) ، أو أنه عائد إلى (قوم) والمعنى : على خوف من فرعون ، ومن ملئهم ، لأن الفتنة بردهم عن إيمانهم بموسى عليه السلام تحدث من هذين الطريقين طريق فرعون ، وطريق أشراف القوم .

٦ ــ قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [٣]

فإن الظاهر في الآية أن الضمير في (ينفقونها) مفرد مؤنث عائد على (الذهب والفضة) ، ومقتضى القواعد النحوية أن يقال : ولا ينفقونهما .

وقد وجهت الآية إلى عدة أقوال :

١ ــ أن الضمير في (ينفقونها) عائد على (الكنوز) أي : ولا ينفقون الكنوز ، لأن الكنوز تشتمل على الذهب والفضة ها هنا [٤] .

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢ / ٣٢ .
(٢) مشكل مكي : ٣٣٥ ، وينظر : البيان ١ : ٤١٩ .
(٣) التوبة : ٣٤ .
(٤) معاني القرآن وإعرابه للنحاس ٣ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

٢ ــ أن الضمير عائد على الذهب ، ولفظ الذهب يذكر ويؤنث ، ذكر ذلك القرطبي [١] حيث قال : " والذهب تؤنثه العرب ، تقول : هي الذهب الحمراء ، وقد تذكر ، والتأنيث أشهر " [٢]

٣ ــ أن الضمير عائد إلى الفضة ، والذهب داخل فيها حكماً .

وحذف ما يعود على الذهب لدلالة الثاني عليه . [٣]

وهذا الوجه هو الذي أميل إليه وأرجحه ، لأن الفضة أقرب المذكورين إلى الضمير [٤] ، ولأنها هي الأعم والأغلب [٥] .

٧ ــ قال تعالى : ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [٦]

اختلف في مرجع الضمير في (وإنهما) على أقوال :

فقيل إنه عاد على قريتي قوم لوط وأصحاب الأيكة وهم قوم شعيب لتقدمهما ذكراً ، وهو ما رجحه السمين الحلبي [٧] .

وقيل إنه يعود على لوط وشعيب عليهما السلام ، وشعيب وإن كان لم يجر له ذكر لكن دل عليه ذكر قومه ، وقيل يعود على الخبرين : خبر إهلاك قوم لوط وخبر إهلاك قوم شعيب ، وقيل يعود على أصحاب الأيكة وأصحاب مدين لأنه مرسل إليهما فذكر أحدهما مشعر بالآخر [٨] .

---

(١) هو محمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي ، اشتهر بتفسير : الجامع لأحكام القرآن . توفي ٦٧١هـ . طبقات المفسرين : ٢٤٦ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨ : ١٢٧ ، وينظر إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٤ ، الدر ٦ : ٤٢ .

(٣) تأويل مشكل إعراب القرآن لابن قتيبة ١ : ٣٢٨ .

(٤) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٤ : ٣١ ، تفسير أبي السعود ٤ : ٦٣ .

(٥) معالم التنزيل ٢ : ٢٨٨ ، فتح القدير ٢ : ٣٥٦ .

(٦) الحجر : ٧٩ .

(٧) ينظر : الدر المصون ٧ : ١٧٨ .

(٨) ينظر : النسفي ٢ : ٢٧٧ ، تفسير البيضاوي ٣ : ٢٠٩ ، تفسير أبي السعود ٥ : ٨٧ ، حاشية الجمل ٢ : ٥٥٣ .

ولكني أرجح أن يكون الضمير عائداً على قرى قوم لوط ، وأصحاب الأيكة ؛ لأن تفسير العلماء لـ (إمام) بالطريق الواضح يعضد هذا العود ، فالقريتان واضحتان بآثارهما بعد تدميرهما بالعذاب عبرة وذكرى لكل من يمر عليهما .

يقول الفرّاء في (وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) : " بطريق لهم يمرون عليها في أسفارهم فجعل الطريق إمامًا لأنه يؤم ويتبع " [١] ، وزاد البيضاوي معنى آخر للإمام هو : مطمر البناء ، واللوح لأنهما مما يؤتم به [٢] .

٨ ــ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾ [٣]

اختلف العلماء في عود الضمير في قوله تعالى (بطونه) على أقوال :

قال الكسائي [٤] معناه : مما في بطون ما ذكرناه [٥] ، فهو عائد على المذكور ، واستصوبه الفرّاء [٦] وساق على ذلك شواهد من الشعر العربي عاد الضمير فيها مفرداً مذكراً على الجمع حيث قال : أنشدني بعضهم :

مثلَ الفراخ نتقت حواصلُهْ [٧]

---

(١) معاني القرآن ٢ : ٩١ .
(٢) تفسير البيضاوي ٣ : ٢٠٩ .
(٣) النحل : ٦٦ .
(٤) هو أبو الحسن علي بن حمزة أحد القراء السبعة إمام أهل الكوفة في النحو ـ توفى ١٨٩ . البغية ٢ : ١٦٢ .
(٥) معاني القرآن للكسائي : ١٧٩ وينظر : معاني الفراء ٢ : ١٠٩ .
(٦) ينظر : معاني القرآن ٢ : ١٠٩ .
(٧) نتقت : سمنت .

ولم يقل : حواصلها ، وإنما ذكّر لأن الفراخ جمع" لم يبن على واحده ، فجاز أن يذهب بالجمع إلى الواحد [١] .

وقال الآخر :

كذا ابنة الأعيار خافي بسالة الـــ رجال وأصلال الرجال أقاصره [٢]

ولم يقل : أقاصرهما " [٣] .

وقال الكرماني [٤] إن الضمير يعود إلى البعض وهو الإناث لأن اللبن لا يكون للكل ، فصار تقدير الآية : وإن لكم في بعض الأنعام " [٥] .

وذكر ابن الأنباري أن (الأنعام) تذكر وتؤنث [٦] ، فيعود الضمير على لفظها مؤنثاً ومذكراً .

وقال البيضاوي : " وإنما ذكر الضمير ووحده هنا ، للفظ ، وأنثه في سورة المؤمنون [٧] للمعنى فإن الأنعام اسم جمع " [٨]

ومعنى ذلك أن التذكير في الضمير في سورة النحل على معنـــى الجمع ، والتأنيث فيه في سورة المؤمنون على معنى الجماعة .

كما أن البحث العلمي الحديث يثبت أن اللبن سببه الذكر فعاد الضمير على ذكر الأنعام لأن الأنثى لا تجود باللبن إلا بعد أن يطرقها الفحل وتحمل .

---

(١) ينظر : معاني القرآن ١ : ١٣٠.

(٢) الأعيار : جمع عير ومن معانيه السيد والملك وكأن هذا هو المراد هنا ، وأقاصره : جمع الأقصر ، يقول لها : لا تعيبني بالقصر فإن أصلال الرجال ودهاتهم أقاصرهم ، وأصلال جمع صل وهو في الأصل : الحية . ينظر معاني الفراء ٢ : ١٠٩ .

(٣) معاني القرآن ٢ : ١٠٩ .

(٤) هو محمود بن حمزة بن نصر أبو القاسم الكرماني المعروف بتاج القراء مؤلف كتاب خط المصاحف ، وكتاب لباب التفاسير ، ينظر : غاية النهاية في طبقات القراء ٢ : ٢٩١ .

(٥) البرهان في توجيه متشابه القرآن : ٨٤ .

(٦) البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث : ٦٨ .

(٧) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ المؤمنون : ٢١ .

(٨) تفسير البيضاوي ٣ : ٢٤٤ ، وينظر : أبو السعود ٥ : ١٢٤ .

٩ ــ قال تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (١)

حيث عاد الضمير في (حكمهم) جمعًا مذكرًا مع أن المتحدث عنهما داود وسليمان عليهما السلام فالظاهر في الآية الكريمة مخالفة الضمير لمرجعه . وفي توجيه هذا قولان :

أحدهما : أن المقصود بالضمير (هم) في (حكمهم) داود وسليمان والمحكوم بينهم .

والمعنى : كنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث (٢) .

والثاني : أن الضمير عائد على (داود وسليمان) عليهما السلام ، وهذا على رأي من يقول إن أقل الجمع اثنان ، قال الفراء عند حديثه عن (إخوة) في قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ ﴾ (٣) يريد أخوين فما زاد ، فهذا كقوله ﴿ لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ يريد داود وسليمان (٤)

وما أميل إليه وأرجحه القول الأول لأن المحاكمة تستوجب أن يكون اجتماع بين القاضي والمحكوم له والمحكوم عليه ويسمى الحكم الصادر عن القاضي حكمهم جميعاً .

هذا وقد قرأ ابن مسعود وابن عباس وابن أبي عبلة (لحكمهما) (٥) وعليها فلا إشكال والمطابقة حاصلة .

---

(١) الأنبياء : ٧٨ .
(٢) ينظر : جامع البيان ١٧ : ٥١ ، الكشاف ٢ : ٣٣٣ .
(٣) النساء : ١١ .
(٤) معاني القرآن ٢ : ٢٤٩ ، وينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٣٥ ، روح المعاني ١٧ : ٧٤ ، البرهان ٤ : ٣٢ .
(٥) زاد المسير ٥ : ٣٧١ وينظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ٢٤٩ ، الدر المصون ٨: ١٨٥

١٠ ــ قوله تعالى : ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ [١]

فقد عاد الضمير (واو) الجماعة في (يظهروا) ــ في الظاهر ــ على (الطفل) وهو مفرد ، وللعلماء في هذا تخريجات :

فعند حديث الزجاج [٢] عن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [٣] ذكر أن (طفلا) في معنى (أطفال) ودل عليه ذكر الجماعة ، وكأن (طفلا) يدل على معنى : ويخرج كل واحد منكم طفلا [٤] ونظير هذا قوله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [٥] أي : فاجلدوا كل واحد منهم [٦] .

وذكر المبرد [٧] أن (طفلا) مفرد لأن مخرجه مخرج التمييز [٨] ، والتمييز لا يثنى ولا يجمع فهو كقوله تعالى : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ [٩]

وذكر الشيخ الجمل وجها ثالثاً فقال : " وإما لأنه مراد به الجنس"[١٠] أي : جنس الطفل .

والذي نراه مناسباً في آية النور أن (الطفل) إما أن يكون من باب وضع الواحد موضع الجمع كما ذهب إلى ذلك الزجاج ، وإما أن يكون من

---

(١) النور : ٣١ .
(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري ولد ٢٤١هـ ، ولقب بالزجاج لأنه احترف خراطة الزجاج ، بغدادي أخذ عن ثعلب ثم لزم المبرد توفى ٣١١هـ . الفهرست : ٥٩ .
(٣) الحج : ٥ .
(٤) معاني القرآن للزجاج ٣ : ٤١٢ .
(٥) النور : ٤ .
(٦) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٤٠ .
(٧) هو محمد بن يزيد النحوي . كنيته أبو العباس ولد ٢١٠هـ ، من أبرز شيوخه المازني والجرمي وغيرهما توفى ٢٨٠ هـ . ينظر : إنباه الرواة ٣ : ٢٤٢ .
(٨) المقتضب ٢ : ١٧١ .
(٩) النساء : ٤ .
(١٠) حاشية الجمل ٣ : ١٥٣ .

باب إرادة الجنس كما ذكر الشيخ الجمل ، ولا يجوز التوجيه على جعله مصدراً لأن معنى الآية لا يناسبه ألبتة .

فالتعليل بقوله تعالى (لم يظهروا) مناسب للتوجيهين الأولين حيث مراد بهما الأطفال الذين دون سنّ التمييز .

١١ ــ قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (١)

حيث إن الضمير في (لهم) وفي (أمرهم) عاد إلى (مؤمن) و (مؤمنة) ، ومقتضى الظاهر أن يقال (لهما) .

ولكن الملاحظ أن النكرتين (مؤمن ، ومؤمنة) وقعتا في سياق النفي (ما) ، والنكرة إذا وقعت في سياق النفي تعم ، فالمراد إذاً بالحكم جميع المؤمنين .

وعلى هذا فعود الضمير مجموعاً مذكراً محمول على المعنى يقول أبو حيان : " ولما كان قوله (لمؤمن ولا مؤمنة) يعمُّ في سياق النفي ، جاء الضمير مجموعاً على المعنى في قوله : (لهم) فغلب فيه المذكر على المؤنث " (٢) .

١٢ ــ قال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (٣)

فهنا ــ نرى ــ الضمير عاد جمعًا مؤنثًا في قوله تعالى (خلقهن) على (الليل والنهار والشمس والقمر) .

---

(١) الأحزاب : ٣٦ .

(٢) البحر المحيط ٧ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦ وينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٩٣ ، البيضاوي ٤ : ٣٤٨ ، روح المعاني ٢٢ : ٢٢ .

(٣) فصلت : ٣٧ .

ومن المعروف نحويًا أن جمع ما لا يعقل يعود عليه الضمير مؤنثا مجموعًا كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴾ (١)

أو مؤنثا مفردًا كما في قوله تعالى : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ ﴾ (٢)

يقول الزمخشري : " (خلقهن) ، الليل والنهار والشمس والقمر ، لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى أو الإناث ، يقال : الأقلام بريتها ، وبريتهن " (٣)

وكان الزمخشري في هذا تابعًا للفراء حيث يقول : " خلق الشمس والقمر والليل والنهار ، وتأنيثهن في قوله : (خلقهن) ؛ لأن كل ذكر من غير الناس وشبههم فهو في جمعه مؤنث ، تقول: مرّ بي أثواب فابتعتهنّ ، وكانت لي مساجد فهدمتهن وبنيتهن ــ بنى على هذا " (٤)

وقيل إن الضمير عائد على معنى الآيات في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ (٥)

وقيل إن الضمير عائد على (الشمس والقمر) على رأي من يقول إن أقل الجمع اثنان (٦) .

والذي أميل إليه وأرجحه ما ذهب إليه كل من الفراء والأخفش من أن الضمير عاد إلى (الليل والنهار والشمس والقمر) مجموعًا مؤنثا بناءً على الوارد في القرآن الكريم من جواز عود الضمير كذلك على جمع ما لا

---

(١) العاديات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ .
(٢) النحل : ٥ .
(٣) الكشاف ٥ : ٣٨٤ ، وينظر : البيضاوي ٥ : ٣٩ .
(٤) معاني القرآن ٣ : ١٨ .
(٥) ينظر النسفي ٤: ٩٥.
(٦) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٥ : ٣٦٤ ، البحر المحيط ٩ : ٣٠٧ .

يعقل نحو ما ورد في آيات سورة العاديات ، نحو قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ ﴾ (١)

١٣ ــ قال تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٢)

فقد قال تعالى (اقتتلوا) بعود الضمير جمعًا على الطائفتين ومقتضى الظاهر أن يقال (اقتتلتا)، ثم عاد الضمير في قوله تعالى (فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا) مثنى .

ومردّ ذلك إلى أن الضمير في (اقتتلوا) عاد إلى الطائفتين جمعًا حملاً على المعنى ، لأن الطائفة جمع من الناس فما بالك بالطائفتين ؟

قال الزمخشري : " هو مما حمل على المعنى دون اللفظ ؛ لأن الطائفتين في معنى القوم والناس " (٣)

وعاد الضمير في : " بينهما " مثنى على اللفظ قال النسفي : " وثنى (فأصلحوا بينهما) نظراً إلى اللفظ " (٤)

ويذكر الآلوسي تعليلاً ــ غاية في الروعة ــ لمراعاة المعنى أولاً ، ثم مراعاة اللفظ ثانياً فيقول : " والنكتة في ذلك ، ما قيل أنهما أولاً في حال القتال مختلطون ؛ فلذلك جمع أولا ضميرهم ، وفي حال الصلح متميزون متفارقون ؛ فلذا ثنى الضمير " (٥) .

---

(١) إبراهيم : ٣٦ .
(٢) الحجرات : ٩ .
(٣) الكشاف ٥ : ٥٧١، وينظر : البيضاوي ٥ : ١٥٩ ، أبو السعود ٨ : ١٢٠ .
(٤) تفسير النسفي ٤ : ١٦٩ .
(٥) روح المعاني ٢٦ : ١٥٠ .

وقرأ ابن أبي عبلة : (اقتتلتا) ، وقرأ زيد بن علي وأبي بن كعب وابن مسعود (اقتتلا) [١] وعلى ذلك فلا مخالفة والمطابقة حاصلة .

١٤ ــ قال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَا أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [٢]

ففي هذه الآيات المباركات عادت الضمائر كلها مثناة إلى الجنتين إلا في قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ﴾ فقد عاد كما نرى مجموعًا مؤنثًا .

وتوجيه ذلك ما ذكره أبو السعود حيث قال : " جنتان : جنة للخائف الإنسي ، وجنة للخائف الجني ، فإن الخطاب للفريقين ، فالمعنى : لكل خائفين منكما ، أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله ، أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصي ، أو جنة يثاب بها وأخرى يتفضل عليه بها ، أو روحانية وجسمانية ، وكذا ما جاء مثنى بعده .....

وقوله تعالى : (فيهن) ، أي : في الجنان المدلول عليها بقوله "جنتان"[٣]

وقال العكبري : " يجوز أن يكون الضمير لنازل الجنتين ، وأن يكون للفرش أي : عليهن " [٤]

---

(١) ينظر : الكشاف ٥: ٥٧١ ، البحر ٨ : ١١٢ ، الدر المصون ١٠ : ٩.
(٢) الرحمن : ٤٦ ـ ٥٦ .
(٣) تفسير أبي السعود ٨ : ١٨٤ ـ ١٨٥ بتصرف ، وينظر : البيضاوي ٥ : ٢٤٠.
(٤) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ٢٥٢ ، وينظر حاشية الجمل ٤ : ٢٦٤ .

ويفهم من كلام العكبري : أن الجنتين مشتملتان على منازل وأماكن ، ومجالس متعددة فقاصرات الطرف موجودات في كل هذه الأماكن .

وعلى توجيهه الثاني فإن (في) تكون بمعنى (على) والمعنى : على هذه الفرش قاصرات الطرف .

وقد استحسن أبو حيان هذا التوجيه [١] .

وذهب بعضهم إلى أن المعنى : فيما فيهما من الأماكن والقصور ، أو في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجني [٢] .

وذكر السمين [٣] الحلبي أن الضمير يعود على الجنتين على اعتبار أن أقل الجمع اثنان [٤] .

وما قيل في مرجع الضمير في قوله تعالى (فيهن) هنا ، يقال كذلك في قوله تعالى : ﴿ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾ [٥] .

---

(١) ينظر البحر ٨ : ١٩٥ .
(٢) ينظر الكشاف ٦ : ١٨ والنسفي ٤ : ٢١٢ والبيضاوي ٥ : ٢٤٠ .
(٣) هو : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود صاحب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون . توفى ٧٥٦ . طبقات القراء ١ : ١٥٢ .
(٤) الدر المصون ١٠: ١٨١ .
(٥) الرحمن : ٧٠ .

المطابقة في الضمير الرابط
بين اسم الموصول وصلته

الموصول الاسمي قسمان : مختص ومشترك .

فالمختص : ما كان نصًا في الدلالة على نوع بعينه ، فالمفرد المذكر له (الذي) ، والمفردة المؤنثة لها (التي) ، والمثنى المذكر له (اللذان) والمثنى المؤنث له (اللتان) ، وجمع الذكور له (الذين) ، وجمع الإناث له ، (اللائي أو اللاتي) . وللجمع بنوعيه (الألي ، أو الألاء) بالقصر أو المد .

والمشترك : ما ليس نصًا في الدلالة على نوع بعينه ، بل يستعمل مع الأنواع كلها ، إفرادًا وتثنية وجمعًا ، تذكيرًا أو تأنيثا ، وهي : (مَن) وأكثر استعمالها مع العقلاء ، و (ما) وأكثر استعمالها مع غير العقلاء و (أل) وتكون للعاقل وغيره بشرط أن تدخل على صفة صريحة ، و (ذو) في لغة طئ وتستعمل للعاقل وغيره ، و (ذا) وتكون اسمًا موصولاً للعاقل وغيره مفرداً وغير مفرد ، بشرطين :

الأول : أن تسبق بـــ (ما) أو (من) الاستفهاميتين .

والثاني : ألا تكون ملغاة ، والمراد بإلغائها أن تركب مع (ما) أو (من) فيصيران اسمًا واحدًا .

و (أي) : وهي مثل (ما) في أنها بلفظ واحدٍ للمذكر والمؤنث مفرداً كان أو مثنى أو مجموعًا عاقلاً وغير عاقل .

والموصولات كلها مختصها ومشتركها تحتاج إلى أمرين :

أحدهما : الصلة .

والثاني : الضمير العائد من الصلة إلى الموصول .

وشرط هذا الضمير العائد على الموصول : أن يكون مطابقًا له في الإفراد والتذكير وفروعهما مطابقة تامة؛ بأن يوافق لفظ الموصول ومعناه، وهذا حين يكون الموصول اسمًا مختصًا ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ (٥)

وأما إن كان الاسم الموصول مشتركا نحو : من ، وما ، وذو ، فلا يجب ــ حينئذ ــ المطابقة التامة ؛ لأن الاسم الموصول العام لفظه لفظ المفرد المذكر ، ولكن قد يقصد به المفردة المؤنثة ، أو المثنى بنوعيه ، أو الجمع بنوعيه ، ولهذا يجوز في الضمير الرابط الذي يلي الاسم الموصول مراعاة اللفظ أو مراعاة المعنى .

وعلى هذا يجوز أن نقول : فاز من اجتهد ، بالإفراد والتذكير مراعاة للفظ (مَنْ) .

ويجوز أن نقول : فاز من اجتهدت ، ومن اجتهدا ، ومن اجتهدتا ، ومن اجتهدوا ، ومن اجتهدن ، بعود الضمير على الاسم الموصول مطابقًا لمعنى (مَنْ) حسب مراد المتكلم .

---

(١) المؤمنون : ٨٠ .
(٢) المجادلة : ١ .
(٣) النساء : ١٦ .
(٤) الزمر : ١٧ .
(٥) الطلاق : ٤ .

وقد ورد في القرآن الكريم عود الضمير على (مَنْ) مفردًا مذكرًا مراعاة للفظ كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ [١]

فالعائد ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على (مَنْ) . قال ابن الأنباري : " إنما قال (ينظر) حملاً على اللفظ لأنها مفرد " [٢] .

وورد عوده مجموعاً مذكراً مراعاة للمعنى كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ [٣] فقد عاد الضمير جمعاً حملاً على المعنى لأن معنى (مَنْ) الجمع [٤] .

وعن سرّ مراعاة اللفظ في (ينظر) ، ومراعاة المعنى في (يستمعون) يقول الكرماني : " لأن المستمع إلى القرآن كالمستمع إلى النبي ﷺ ، فكان في المستمعين كثرة ، فجمع ليطابق اللفظ المعنى ، ووحد (ينظر) حملاً على اللفظ إذ لم يكثروا كثرتهم " [٥] أي : كثرة المستمعين .

وقد روعي اللفظ والمعنى في قوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٦] فعاد الضمير مفرداً مذكراً في (أسلم) مستتراً . و (وجهه) ، و (هو) ، و (له) ، و (أجره) ، و (ربه) ، مراعاة للفظ . وعاد مجموعاً في (عليهم) ، و (هم) ، و (يحزنون) مراعاة للمعنى .

وقد تحدث إمام النحاة سيبويه عن هذه المسألة وعنون لها بقوله : " هذا باب إجرائهم صلة (مَنْ) وخبره إذا عنيت اثنين كصلة (اللذين) ، وإذا

---

(١) يونس : ٤٣ .
(٢) البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٤١٣ .
(٣) يونس : ٤٢ .
(٤) البيان في غريب إعراب القرآن ١ : ٤١٣ .
(٥) البرهان في توجيه متشابه القرآن : ٦٦ .
(٦) البقرة : ١١٢ .

عنيت جمعاً كصلة (الذين) ، فمن ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ ، ومن ذلك قول العرب فيما حدثنا يونس [١] : من كانت أمك ، وأيهن كانت أمك ، ألحق تاء التأنيث لما عنى مؤنثا ، كما قال : يستمعون إليك حين عنى جمعا " [٢] .

وقد روعى معنى التثنية في (مَنْ) في قول الشاعر [٣] :

تعال فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

فقد ثنى (يصطحبان) مراعاة لمعنى (مَنْ) لأنه مقصود بها هو والذئب.

وقد وصف ابن جني [٤] مراعاة التثنية مع (مَنْ) بالقلة حيث قال : " وقد توضع (مَنْ) للتثنية وذلك قليل " [٥] ثم أنشد البيت السابق .

وورد في القرآن الكريم مراعاة اللفظ مع (مَنْ) فعاد الضمير مفرداً مذكراً مرة ، ومراعاة المعنى معها فعاد الضمير مفرداً مؤنثاً مرة أخرى في قول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا ﴾ [٦] فعاد الضمير في (يقنت) مفرداً مذكراً مراعاة للفظ (من) وفي (تعمل) مفرداً مؤنثاً مراعاة للمعنى وسبق (منكن) مقو لقوله (وتعمل) بالتاء " [٧]

---

(١) هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب البصري ، من كبار نحاة البصرة . وله في النحو مذاهب كثيرة انفرد بها . ينظر : نزهة الألباء : ٥٩ .

(٢) الكتاب ٤ : ٤١٥ ، وينظر : المقتضب ٢ : ٢٩٤ ، ٣ : ٢٥٢ .

(٣) هو الفرزدق . والبيت من الطويل ، والمعنى : أنه أوقد نارا وطرقه ذئب فدعاه إلى العشاء والصحبة . والبيت من شواهد : سيبويه ٢ : ٤١٦ ، المقتضب ٢ : ٢٩٤ ، الخصائص ٢ : ٤٢٢ .

(٤) هو أبو الفتح عثمان بن جني كان أبوه مملوكا لسليمان بن فهد الأزدي ، لغوي مبرّز ، ونحوي بارع له آراء لم يسبق إليها وتعليلات وتحليلات متفردة ت ٣٩٢هـ . الأعلام ٤ : ٢٠٤ .

(٥) الخصائص ٢ : ٤٢٢ .

(٦) الأحزاب : ٣١ .

(٧) ينظر : الهمع ١ : ٨٧ .

ويستثني من الموصولات المشتركة في جواز المطابقة أو عدمها في الضمير العائد على الاسم الموصول ، (أل) الموصولة فإنها تجب معها المطابقة في المعنى وحده ، لخفاء موصوليتها بغير المطابقة [١] .

ومن المعلوم أن (أل) لا تكون موصولة إلا إذا دخلت على صفة صريحة كاسم الفاعل واسم المفعول ، وصيغ المبالغة ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل .

وإذا كان الاسم الموصول خبراً عن ضمير متكلم أو مخاطب ، جاز في الضمير العائد مطابقته للضمير الواقع مبتدأ وعدم مطابقته ، نحو : أنا الذي نظمتُ هذا الشعر ، وأنا الذي نظم حيث عاد الضمير في المثال الأول (تاء الفاعل) مطابقاً لضمير المتكلم (أنا) .

وفي المثال الثاني عاد الضمير الرابط مستتراً تقديره (هو) غير مطابق له ونحو : أنت الذي نظمتَ ، وأنت الذي نظم ، حيث عاد الضمير في (نظمت) مطابقاً لضمير المخاطب (أنت) ، وفي المثال الثاني عاد ضميراً مستتراً تقديره (هو) في الفعل (نظم) [٢] .

ويأخذ الضمير العائد على الاسم الموصول الحكم نفسه من جواز المطابقة وعدمها إذا كان المبتدأ ضمير متكلم أو مخاطب وله خبر موصوف باسم موصول ، نحو : أنا الرجل الذي نظمتُ الشعر ، وأنا الرجل الذي نظم الشعر ، ونحو : أنت الرجل الذي نظمت الشعر وأنت الذي نظم الشعر . فقد جاز في الرابط ــ كما نرى ــ أن يكون للتكلم أو الخطاب مراعاة للمبتدأ، ويجوز أن يكون للغيبة مراعاة للاسم الموصول[٣]

---

(١) ينظر : النحو الوافي ١ : ٣٧٧ .
(٢) ينظر : الهمع ١ : ٨٦ .
(٣) المصدر السابق : الجزء نفسه والصفحة نفسها .

وقد ذكر العلامة الصبان [١] أنه إذا كان الاسم الموصول تابعاً للمنادي (أي) أو (أية) جاز ــ حينئذٍ ــ أن يكون العائد بلفظ الغيبة نظراً إلى كون لفظ المنادي اسماً ظاهراً والاسم الظاهر من قبيل الغيبة ، وبلفظ الخطاب نظراً إلى كون المنادى مخاطباً ، ثم قال : ويجوز : يا أيها الذي قام ، ويا أيها الذي قمتَ [٢] .

والوارد في القرآن الكريم عود الضمير بلفظ الغيبة في نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [٤] .

---

(١) هو محمد بن علي الصبان . عالم بالعربية والأدب . اشتهر بحاشيته على الأشموني ت ١٢٠٦هـ . الأعلام ٦ : ٢٩٧ .

(٢) ينظر : حاشية الصبان ٣ : ١٤٨ .

(٣) الحجر : ٦ .

(٤) الحجرات : ١ .

المبحث الثاني
المطابقة في باب المبتدأ والخبر

المبتدأ نوعان :

أ ــ مبتدأ له خبر ب ــ مبتدأ له مرفوع سد مسد الخبر

فأما النوع الأول :

فقد اشترط النحاة فيه المطابقة بينه وبين الخبر في الإفراد ، والتثنية ، والجمع ، والتذكير والتأنيث ، والعدد .

أولاً : المطابقة في الإفراد والتذكير :

نحو : الله ربنا ، محمد نبينا ، القرآن منهجنا .

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴾ [٢] ، ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [٣]

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الآيات الظاهر فيها عدم مطابقة الخبر للمبتدأ في الإفراد والتذكير منها :

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [٤]

فقد أخبر عن الضمير المفرد المذكر (هو) بـ (آيات) وهي جمع بالألف والتاء المزيدتين .

وتوجيه ذلك أن الضمير (هو) عائد على القرآن الكريم قال الفراء : " بل هو " يريد : القرآن " [٥] وقرأ عبد الله بن مسعود : " بل هي آيات

---

(١) الفتح : آية ٢٩ .
(٢) الشورى آية ١٩.
(٣) البقرة آية ٢٥٧ .
(٤) العنكبوت : ٤٩.
(٥) معاني القرآن ٢ : ٣١٧ ، وينظر : النسفي ٣ : ٢٦٠ ، أبو السعود ٧ : ٤٣ ، حاشية الجمل ٣ : ٣٧٩ ، حاشية الصاوي على الجلالين ٣ : ٢٢٤ .

بينات " [١] وعليه فلا إشكال .

وذهب ابن عباس وقتادة إلى أن الضمير (هو) يرجع إلى النبي ﷺ والمعنى : بل محمد آيات بينات ، أي : ذو آيات بينات " [٢] وعلى هذا التوجيه تكون المطابقة حاصلة ، ولكن الراجح عوده إلى الكتاب حيث ورد ذكره قبل هذه الآية في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ *وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [٣] .

فالحديث كله عن القرآن الكريم والضمير (هو) عائد عليه والسياق يؤكد ذلك .

وقوله تعالى : ﴿ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴾ [٤]

فالظاهر في الآية الإخبار عن المذكر بالمؤنث ، فـ (الإنسان) مبتدأ و(على نفسه) متعلقان بـ (بصيرة) ، و (بصيرة) يجوز فيها ثلاثة أوجه :

الأول : أن تكون خبراً عن (الإنسان) ، والمعنى : بل الإنسان بصيرة على نفسه [٥] ، وفي تأنيث (بصيرة) أقوال :

أولها : أن الهاء فيه ليست للتأنيث ، وإنما هي للمبالغة [٦] ، نحو : علاّمة ، وفهامة .

والثاني : أن المقصود بها المعنى لا اللفظ ذهب إلى ذلك الأخفش حيث قال : " فجعله هو البصيرة كما تقول للرجل : أنت حجة على نفسك "[٧]

---

(١) معاني القراء ٢ : ٣١٧ .
(٢) زاد المسير ٦ : ٢٧٨ .
(٣) العنكبوت : ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٤٩ .
(٤) القيامة : آية ١٤.
(٥) ينظر : مشكل إعراب القرآن لمكي : ٧٢٨ .
(٦) ينظر : المصدر السابق : الصفحة نفسها .
(٧) معاني القرآن ٢ : ٥٥٨ تحقيق : هدى قراعة .

وقال العكبري : " أي : هو حجة بصيرة على نفسه " [١] .

والثالث : أن المراد بالإنسان الجوارح ، إذ جوارحه تشهد عليه [٢]

والرابع : أن (بصيرة) ــ هنا ــ مصدر، والتقدير : ذو بصيرة [٣]

الثاني : ويجوز أن تكون (بصيرة) مبتدأ مؤخراً و (على نفسه) خبراً مقدماً والجملة في محل رفع خبر عن (الإنسان) وعلى هذا تكون (بصيرة) صفة لموصوف محذوف أي : عين بصيرة ، أو جوارح بصيرة ، والتاء على هذا الوجه للتأنيث ، ذهب إلى هذا الوجه الزمخشري حيث يقول : " بصيرة : حجة بينة ، وصفت بالبصارة على المجاز ، كما وصف الآيات بالإبصار في قوله تعالـــــى : ﴿ فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ [٤] أو عين بصيرة " [٥]

الثالث : ويجوز أن يكون (على نفسه) خبراً مقدماً ، و (بصيرة) فاعل به ، والأصل في الإخبار الإفراد [٦] .

والأوجه الثلاثة كلها متساوية في القوة والأرجحية ولا فضل لأحدها على الآخر حيث إن المعاني متسقة مع الإعراب ومطلوبة له .

وقوله تعالى: ﴿ هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [٧]

فقد جاءت (بصائر) في الآية وهي جمع ، خبراً عن اسم الإشارة (هذا) وهو مفرد .

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ٢٧٤ .
(٢) النسفي ٤ : ٣١٤ .
(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ٢٧٤ .
(٤) النمل : ١٣ .
(٥) الكشاف ٦ : ٢٦٨ ، وينظر : مشكل مكي ٧٢٨ .
(٦) حاشية الجمل ٤ : ٤٤٧ .
(٧) الأعراف : ٢٠٣ . وفي سورة الجاثية : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ الجاثية : ٢٠

اتفقت كلمة المفسرين على أن المقصود بالبصائر في الآية الكريمة القرآن الكريم ، ومعناها : الدلائل ، والحجج ، والبراهين الساطعة [١] .

يقول الفخر الرازي : " ولما كان القرآن سبباً لبصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب " [٢] .

وفي الإخبار عن المفرد بالجمع وجهان :

أولهما : جَمْع البصائر لأن القرآن الكريم مشتمل على هذه الحجج والدلائل والبراهين ، والآيات والسور .

والثاني : على حذف مضاف ، والتقدير : هذا ذو بصائر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه .

يقول أبو حيان : " (هذا بصائر) : أي : هذا الموحى إليّ الذي أنا أتبعه لا أبتدعه ، وهو القرآن بصائر : أي : حجج وبينات يبصر بها ، وتتضح الأشياء الخفيات ، وهي جمع بصيرة كقوله تعالى : ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [٣] أي : على أمر جلي منكشف ، وأخبر عن المفرد بالجمع لاشتماله على سور وآيات ، وقيل : على حذف مضاف أي : ذو بصائر" [٤] وقوله تعالى: ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ [٥] قرئ و (وأخر) بالجمع [٦] ، وعلى هذه القراءة لا إشكال حيث يكون

---

(١) ينظر : معاني الزجاج ٢ : ٣٩٧ ، الكشاف ٢ : ٥٤٧ ، النسفي ٢ : ٩٢ ، الدر المصون ٥ : ٥٥١ ، حاشية الجمل ٢ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٢) مفاتيح الغيب ٨ : ٨٣ .

(٣) يوسف : ١٠٨ .

(٤) البحر ٤ : ٤٤٨ .

(٥) ص : ٥٧ ـ ٥٨ .

(٦) هي قراءة أبي عمرو ويعقوب . ينظر : النشر ٢ : ٣٤٦ ، الإتحاف : ٣٧٣ ، الإقناع : ٤٥٢ .

وأخر) مبتدأ ، و (أزواج) خبره ، و (من شكله) صفه لـ (أخر) [١] فالمطابقة ـ حينئذ ـ حاصلة .

وأما على قراءة " وآخر " بالإفراد [٢] يكون الإشكال ، حيث يكون الإخبار عن المفرد بالجمع ، وقد وجه هذا الإشكال بما يأتي :

أولاً : أن (آخر) مرفوع بالابتداء ، و (أزواج) مبتدأ ثان ، و (من شكله) خبر (الأزواج) والجملة خبر (آخر) . هذا التوجيه اختاره مكي ولم يستحسن أن يكون (أزواج) خبراً عن (آخر) لأن الجمع لا يكون خبراً عن الواحد [٣] .

ثانياً : أن آخر صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ ، والخبر محذوف والتقدير : ولهم عذاب آخر من ضرب ما تقدم [٤] .

ثالثاً : أن (آخر) فيها معنى المصدر ، إذ التقدير : ولنعذبنهم عذابًا آخر ، وإذا كان المعنى للفعل خبر عن الواحد باثنين وجماعة كما تقول : عذاب فلان ضربان ، وعذابه ضروب شتى [٥] .

رابعًا : جاز ذلك ـ أي الإخبار عن المفرد بالجمع ـ لأن العذاب متعدد ، فسمي كل جزء من ذلك الآخر باسم الكل [٦] .

خامسًا : أن يكون (من شكله) نعتًا لـ (آخر) ، و (أزواج) خبرًا لمبتدأ محذوف أي : هي أزواج [٧] وعليه فلا إشكال .

سادسًا : أن (أزواج) نعت للثلاثة (حميم وغساق وآخر) .

---

(١) ينظر : مشكل مكي : ٥٨٠ ، الكشف ٢ : ٢٣٣ .
(٢) بقية القراء : النشر ٢ : ٣٤٦ ، الإتحاف : ٣٧٣ ، الإقناع : ٤٥٢ .
(٣) مشكل مكي : ٥٨٠ .
(٤) المصدر السابق : الجزء نفسه والصفحة نفسها .
(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٦ : ١٣٠ ـ ١٣١ .
(٦) ينظر البحر ٧ : ٣٨٨ .
(٧) ينظر : الدر المصون ٩ : ٣٩١ .

سابقًا : أن (آخر) مبتدأ ، و(من شكله) نعت له و (أزواج) نعت ثان والخبر محذوف تقديره : لهم [١] ، ولكن يعترض على هذا الوجه ـ أيضا ـ بما اعترض على إعراب (أزواج) خبراً لـ (آخر) ، لأن النعت يشترط فيه مطابقة منعوته إذا كان نعتاً حقيقيا .

ويبقى بعد عرض هذه التوجيهات أن أقول إنني أميل إلى الوجه الأول وهو كون (آخر) مبتدأ ، و (من شكله) خبراً مقدماً و (أزواج) مبتدأ ثانيا ، وجملة (من شكله أزواج) في محل رفع خبر (آخر) ، حيث لا تأويل ولا إبعاد في المعنى وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج .

ثانيا : المطابقة في الإفراد والتأنيث :

فإذا كان المبتدأ مفرداً مؤنثاً كان كذلك الخبر مفرداً مؤنثاً ، نحو : هند جالسة ، السماء صافية ، الحديقة مثمرة ، ومن الشواهد القرآنية على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَيَا قَوْمِ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [٤]

ولكن ورد في القرآن الكريم عدم التطابق بين المبتدأ والخبر في الإفراد والتأنيث ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ﴾ [٥] .

فالظاهر أن (اثنان) خبر وهو ملحق بالمثنى عن (شهادة) وهي اسم مفرد وتوجيه ذلك أن (اثنان) يجوز أن تكون فاعلاً لفعل محذوف وهذا ما

---

(١) المصدر السابق : الجزء نفسه والصفحة نفسها .
(٢) هود : ٦٤ .
(٣) طه : ١٨ والعصا : مؤنثة ولا يقال هذه عصاتي بالتاء ، البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث : ٦٧ .
(٤) المائدة : ٧٥ .
(٥) المائدة : ١٠٦ .

ذهب إليه الفراء حيث يقول : " ورفع الاثنين بالشهادة ، أي : ليشهدكم اثنان من المسلمين " [١] .

ويجوز أن يكون (اثنان) خبراً عن (شهادة) ولكن بتقدير : شهادة بينكم شهادة اثنين ، يقول ابن الأنباري : " واثنان : مرفوع لأنه خبر المبتدأ ، وتقديره : شهادة بينكم شهادة اثنين ، ولابد من هذا التقدير لأن شهادة لا تكون هي الاثنين " [٢] قال أبو حيان : " واحتيج إلى الحذف ليطابق المبتدأ الخبر " [٣]

وأنا أميل إلى هذا التوجيه لتحصل المطابقة بين المبتدأ والخبر حيث إن الذوات لا تكون أخباراً عن المصادر ، وحذف المضاف أخف من حذف الفعل .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ [٤]

فـ (هي) مبتدأ وهو ضمير للمفردة المؤنثة ، و (رميم) خبر وهو بلفظ المذكر ـ كما نرى ـ وتوجيه ذلك ـ على قولين :

أولهما : أن (رميم) وصف على وزن (فعيل) وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث ، مثل : جريح وقتيل ، يقول صاحب مختار الصحاح : " وإنما قال الله تعالى : " قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ " ؛ لأن فعيلاً ، وفعولاً ، قد يستوي فيهما المذكر والمؤنث والجمع مثل : رسول ، وعدو ، وصديق [٥] ، وممن ذهب إلى هذا التوجيه الإمام الشوكاني حيث قال: " والأولى أن يقال فيه أنه فعيل بمعنى فاعل ،

---

(١) معاني القرآن ١ : ٣٢٣ .
(٢) البيان ١ : ٣٨ .
(٣) البحر ٤ : ٤٣ .
(٤) يس : ٧٨ .
(٥) مختار الصحاح : ٢٥٧ .

أو مفعول ، وهو يستوي فيه المذكر والمؤنث كما قيل في جريح وصبور "[١]

وقال العكبري : " ورميم : بمعنى رامٌ أو مرموم" "[٢]

والثاني :أن (رميم) اسم لا صفة ، فهو اسم بمعنى : بالية ، وكونه اسماً سبب في عدم تأنيثه ، يقول النسفي : " هو اسم لما بلى من العظام غير صفة كالرمة والرفات،ولهذا لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث"[٣]

يقول الشيخ الجمل : " وإيضاحه أن (فعيلاً) بمعنى (فاعل) لا تلحق التاء في مؤنثه إلا إذا بقيت وصفيته وما هنا انسلخ عنها وغلبت عليه الاسمية أي : صار بالغلبة اسمًا لما بلى من العظام "[٤] .

و (رميم) على هذا الوجه ــ كأنها ــ محمولة في معناها على معنى (بالية) ولذلك كان الضمير مؤنثاً و (رميم) بلفظ المذكر في معنى المؤنث

وأنا مع التوجيه الأول لقربه من غير تأويل ولوجود نظائر له في العربية .

وقوله تعالى : ﴿ السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ [٥]

حيث ذكر الخبر (منفطر) ، والمبتدأ مؤنث وهو (السماء) .

وقد وجه ذلك إلى خمسة أقوال :

أولها : أن (السماء) تذكر وتؤنث ، ذهب إلى هذا الفرّاء حيث يقول : وقوله عز وجل ﴿ السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ بذلك اليوم ، و (السماء) :

---

(١) فتح القدير ٤ : ٣٨٣ .
(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ٢٠٥ .
(٣) النسفي ٤ : ١٤ .
(٤) حاشية الجمل ٣ : ٥٢٦ ، وينظر : أبو السعود ٧ : ١٨١ .
(٥) المزمل : ١٨ .

تذكر وتؤنث ، فهي ها هنا في وجه التذكير ، قال الشاعر [١] :

فلو رفع السماء إليه قومًا لحقنا بالنجوم مع السحاب [٢]

والثاني : أن (السماء) ذكرت على معنى النسب ، أي : ذات انفطار ، ذهب إلى هذا الزجاج في أحد قوليه حيث يقول : " والوجه الثاني : على قوله : امرأة مرضع ، أي : على جهة النسب ، المعنى : السماء ذات انفطار ، كما تقول : امرأة مرضع ، أي : ذات رضاع " [٣] وتبعه في هذا التوجيه مكي [٤] .

والثالث : أن السماء بمعنى السقف ، ذهب إلى هذا الزجاج في قوله الأول حيث يقول : " والتذكير على ضربين : أحدهما على (السماء) معناه : (السقف) ، قال الله عز وجل : ﴿ **وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفًا مَّحْفُوظًا** ﴾ [٥] ، [٦] .

والرابع : أنها مؤولة بالمشتق ، أي : متشققة لشدته [٧] .

والخامس : أن (السماء) اسم جنس يفرق بينه وبين واحده بالتاء ، فيقال : سماءة ، ومعلوم أن اسم الجنس يجوز فيه التذكير والتأنيث [٨]

والسادس : أن السماء مؤنث مجازي ليس حقيقيا ، وما كان كذلك جاز

---

(١) لم يعرف قائله وهو من الوافر . ينظر : الدر المصون ١ : ١٧٠ ، ١٠ : ٥٢٨ ، البحر ٨ : ٣٥٧ ، معاني الفرّاء ٣ : ١٩٩ .

(٢) معاني القرآن ٣ : ١٩٩ ، الدر المصون ١٠ : ٥٢٨ ، البحر ٨ : ٣٥٧ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٥ : ٢٤٣ .

(٤) هو مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي . أصله من القيروان . له المشكل في إعراب القرآن ، الهداية في بلوغ النهاية ت ٤٣٧ هـ . إنباه الرواة ٣ : ٣١٣ .

(٥) الأنبياء : ٣٢ .

(٦) معاني الزجاج ٥ : ٢٤٣ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٩ : ٥٠ .

(٨) الدر المصون ١ : ٥٢٨ وينظر : حاشية الجمل ٤ : ٤٣١ .

تذكيره [١] ومنه قول الشاعر [٢] :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالهـــــــا

والسابع : ذهب الزمخشري [٣] إلى أن (منفطر) صفة لموصوف محذوف أي : السماء شيء منفطر به [٤] .

وهذه الوجوه كلها وإن كانت مقبولة معنى وصناعة لوجود ما يعضدها في الاستعمال العربي ، إلا أنني أميل إلى الوجه الثالث منها وهو أن (السماء) بمعنى السقف لاستعماله صريحاً بهذا المعنى في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ [٥] وقوله تعالـــى : ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [٦]

أي : إلى سقف بيته . [٧]

ثالثا : المطابقة بينهما تثنية وتذكيراً :

فنقول : الرجلان صادقان . قال تعالى : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ .. ﴾ [٨] ، ونحو قوله تعالى : ﴿ فَآخَرَانِ يَقُومَانُ مَقَامَهُمَا ﴾ [٩] .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٦ : ١٦٣ .
(٢) هو عامر بن جؤية والبيت من المتقارب . والمزن السحاب . والودق : المطر ، والبيت من شواهد : ، الكتاب ٢ : ٤٦ ، الخصائص ٢ : ٤١١ ، الأشموني ١ : ١٧٤ .
(٣) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الزمخشري . الأديب النحوي البلاغي . ألف الكشاف والمفصل في النحو وغيرهما . توفى ٥٣٨ . ينظر : طبقات المفسرين ١ : ٥١٠ .
(٤) الكشاف ٦ : ٢٤٧ ، وينظر : النسفي ٤ : ٣٠٥ .
(٥) الأنبياء : ٣٢ .
(٦) الحج : ١٥ .
(٧) حاشية الجمل ٣ : ١٥٧ .
(٨) الحج : ١٩ .
(٩) المائدة : ١٠٧ .

هذا ... ولم يرد في القرآن الكريم مخالفة في المطابقة ــ تثنية وتذكيراً ــ بين المبتدأ والخبر .

رابعاً : المطابقة بينهما تثنية وتأنيثا :

فنقول : الطالبتان مهذبتان ، قال تعالى : ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾ [١].

ولم أقرأ في القرآن الكريم إلا آية واحدة ورد ــ في الظاهر ــ عدم مطابقة الخبر للمبتدأ في التثنية والتأنيث هي قوله تعالى : ﴿ **كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا** ﴾ [٢] حيث كان المبتدأ ملحقاً بالمثنى (كلتا) ، والخبر (آتت) بالإفراد ولم يقل (آتتا) .

قال الزجاج : " وقال (آتت) ولم يقل (آتتا) رده على (كلتا) لأن لفظ (كلتا) لفظ واحد ، والمعنى : كل واحدة منهما آتت أكلها ، ولو كان (آتتا) لكان جائزاً ، يكون المعنى : الجنتان كلتاهما آتتا أكلهما " [٣]

ومعنى ذلك أن الضمير في (آتت) جاء مفردًا عائداً على لفظ (كلتا) لأن لفظها مفرد ، ولو قال (آتتا) بعود الضمير مثنى لكان جائزاً حملاً لــ (كلتا) على المعنى إذ إن معناها التثنية .

خامسًا : المطابقة بينهما جمعًا وتذكيرًا :

فنقول : المسلمون صادقون ، قال تعالى : ﴿ **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [٤] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** ﴾ [٥] ، وقال تعالى : ﴿ **وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [٦] .

---

(١) المائدة : ٦٤ .
(٢) الكهف : ٣٣ .
(٣) معاني الزجاج ٣ : ٢٨٤ ـ ٢٨٥ وينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٠٢ .
(٤) البقرة : ٥ .
(٥) البقرة : ١١ .
(٦) البقرة : ٢٥.

وقد ورد في القرآن الكريم ما ظاهره عدم المطابقة في نحو قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ (١)

حيث أخبر عن (المشركون) وهو جمع بالمفرد (نجس) وتوجيه ذلك أن (نجس) مصدر فهو لا يجمع ولا يؤنث . يقول الفرّاء : " لا تكاد العرب تقول : نجس" إلا وقبلها : رِجس" ، فإذا أفردوها قالوا : نَجَس لا غير ، ولا يجمع ولا يؤنث " (٢) .

ويقول الزمخشري : " النجس : مصدر ، يقال : نجس نجساً ، وقذر قذراً ، ومعناه : ذوو نجس ، لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ، ولأنهم لا يتطهرون ، ولا يغتسلون ، ولا يجتنبون النجاسات ، فهي ملابسة لهم ، أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها " (٣) .

وعلى ذلك فلا إشكال لأن المصادر كما هو معلوم نحوياً لا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث بل هي بلفظ واحد في جميع الاستعمالات إذ نقول : رجل عدل ، ورجلان عدل ، ورجال عدل ، وامرأة عدل ، وامرأتان عدل ، ونساء عدل (٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (٤)

فقد أفرد الخبر (آتيه) نظراً للفظ (كل) ؛ لأن لفظها مفرد .

ومن إفراد الخبر معها ـ أيضا ـ على اللفظ قوله تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ (٥) فـ (آتي) خبر (كل) وهو مسند إلى ضمير المفرد .

---

(١) التوبة : ٢٨ .
(٢) معاني القرآن للفراء ١٠ : ٤٣٠ .
(٣) الكشاف ٣ : ٣٠ ، وينظر : النسفي ٢ : ١٢٢ .
(٤) المصدر لا يثنى ولا يجمع من حيث دلالته على الحدث أما إذا دل على شيء آخر فهو يثنى ويجمع كـ (البيع) إذا دل على النوع فيجمع على بيوع ، و (القول) إذا دل على المقول فيجمع على أقوال . ينظر دراسات الشيخ عضيمة ٢/ ٤ / ٣٣٣ وما بعدها .
(٤) مريم : ٩٥ .
(٥) مريم : ٩٣ .

٥٠

يقول السهيلي : " (كل) إذا ابتدئت وكانت مضافة لفظاً ــ يعني لمعرفة ــ فلا يحسن إلا إفراد الخبر حملاً على المعنى ، تقول: كلكم ذاهب ، أي : كل واحد منكم ذاهب ، هكذا هذه المسألة في القرآن والحديث والكلام الفصيح ، فإن قلت في قوله : " وكلهم آتيه " ، إنما هو حمل على اللفظ لأنه اسم مفرد ، قلنا : بل هو اسم للجمع ، واسم الجمع لا يخبر عنه بإفراد ، تقول : القوم ذاهبون ، ولا تقول : ذاهب ، وإن كان لفظ القوم لفظ المفرد ، وإنما حسن (كلكم ذاهب) لأنهم يقولون : كل واحد منكم ذاهب ، فكان الإفراد مراعاة لهذا المعنى " [١] .

وهنا ــ نرى السهيلي ــ يجعل الإفراد من باب الحمل على المعنى ، ولم أجد ــ فيما قرأت ــ من ذهب إلى هذا التوجيه غيره .

فها هو السمين الحلبي يقول : " وتسمية الإفراد حملاً على المعنى غير الاصطلاح ، بل ذلك حمل على اللفظ، والجمع هو الحمل على المعنى "[٢]

ويقول العكبري : " ووحد (آتى) حملاً على لفظ (كل) وقد جمع في موضع آخر حملاً على معناها " [٣] .

ولعلّ السرّ في إفراد الخبر في هاتين الآيتين أنّ المعنى : كل إنسان آتى الله ــ تعالى ــ يوم القيامة فرداً ، وعبداً ، فالفردية أي : عدم وجود ممن جعلوه شريكا له جل وعلا ، حال من كل إنسان يقف بين يدي الله عز وجل للعرض والحساب ، والعبودية كذلك .

فالمعنى : كل إنسان يأتي يوم القيامة فرداً ، عبداً .

---

(١) نتائج الفكر : ٢٧٦ ، وينظر : البحر ٦ : ٢٠٨ .
(٢) الدر المصون ٧ : ٦٥٢ .
(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١١٨ .

ومن الحمل على المعنى قوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٢]

ولعل السرّ في مجئ الخبر جمعاً في الآية الأولى أن (داخرين) معناه : أذلاء صاغرين ، فالجميع يرى ذل الجميع والكل يرى صغار الكل فالكل صاغر ذليل أمام الله عز وجل في عرصات القيامة حيث الملك لله وحده لا ينازعه فيه أحد ، ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [٣] .

وكذلك في الآية الثانية (كل في فلك يسبحون) فالشمس والقمر وغيرهما من النجوم والكواكب تسير سيراً انسيابياً في وقت واحد من غير أن يحدث فيما بينها تصادم ، ومن غير أن يتأبى نجم أو كوكب عن التسخير ، فالكل مذلل بتسخير الله عز وجل له .

سادسا : المطابقة بينها جمعًا وتأنيثًا :

نحو قوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [٤]

وقد ورد ما ظاهره عدم المطابقة في القرآن الكريم في نحو قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [٥]

حيث أخبر عن ضمير الجمع للمؤنث (هُنّ) بـــ (أمّ) وهو مفرد . ومقتضى المطابقة أن يقال : هُنَّ أمهات .

يقول الأخفش : " وقال " (هُنّ أم الكتاب) ولم يقل : أمهات ، كما تقول للرجل : مالي نصير ، فيقول : نحن نصيرك " [٦]

---

(١) النمل : ٨٧ .
(٢) يس : ٤٠ .
(٣) غافر : ١٦ .
(٤) النساء : ٣٤ .
(٥) آل عمران : ٧ .
(٦) معاني القرآن للأخفش ١ : ٣٩٤ .

فوضع المفرد موضع الجمع ، إذ المعنى : نحن نصراؤك ، وعلى هذا ورد قول الشاعر [١] :

بها جيف الحسْرَى فأما عظامها فبيضٌ ، وأما جلدها فصليـــب

والمعنى : فأما جلودها ، إذ لا يكون للجماعة جلد .

وقال الفراء في توجيه الآية : " وقوله : (هن أم الكتاب) يقول : هُنّ الأصل " [٢] أي أن المعنى : كل منهن أم الكتاب . فكأن الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [٣] أي : أن مريم وابنها جميعاً آية واحدة [٤] ، وكما في قوله تعالى : ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ [٥] أي : فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة .

وقال العكبري : " وإنما أفرد (أم) وهو خبر عن جمع ؛ لأن المعنى : أن جميع الآيات بمنزلة آية واحدة فأفرد على المعنى [٦] .

ويزيد العلامة الشعراوي الأمر وضوحاً فيقول : " ولماذا قال الحق : " هن أم الكتاب " ولم يقل : هن أمهات الكتاب ؟ لك أن تعرف أيها المؤمن أنه ليس كل واحدة منهن أمًا ، ولكن مجموعهما هو الأم ، ولتوضيح ذلك فلنسمع إلى قول الحق : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [٧] ، لم يقل الحق إنهما آيتان ؛ لأن عيسى عليه السلام

---

(١) هو علقمة الفحل : البيت من الطويل ، والشاعر يصف طريقاً بعيدة فيها مشقة على من سلكها ، فجيف الحسري : وهي المعيبة من الإبل يتركها أصحابها فتموت مستقرة فيه وعظامها بيض أكلت السباع والطير ما عليها فتعرّت ، والجلد الصليب : الجلد اليابس الذي لم يدبغ ينظر : المقتضب ٢ : ١٧٠ ، أبو السعود ٢ : ٧ ، الخزانة ٣ : ٣٧٩ .

(٢) معاني القرآن ١ : ١٩٠ .

(٣) الأنبياء : ٩١ .

(٤) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٣ .

(٥) النور : ٤ .

(٦) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٣٦ .

(٧) المؤمنون : ٥٠ .

لم يوجد كآية إلا بميلاده من أمه دون أب أي : بضميمة أمه ، ولم عيسى لم تكن آية إلا بميلاد عيسى أي بضميمة عيسى، إذن فيهما معاً تكون الآية ، وكذلك " هن أم الكتاب وأخر متشابهات " فالمقصود بها ليس كل محكم أمًا للكتاب ، إنما المحكمات كلها هي الأم ، والأصل الذي يرد إليه المؤمن كل متشابه ، ومهمة المحكم أن نعمل به ،ومهمة المتشابه أن نؤمن به "[1]

وفي التعبير عن الجمع بالمفرد ما فيه من روعة البيان وسرّ الإعجاز حيث إن العدول بلفظ المفرد عن الجمع يبين أن آيات القرآن الكريم كلها بمثابة آية واحدة . والقرآن الكريم تحدى البشر جميعًا بالإتيان ولو بآية من مثله وإن قصرت فعجزوا ، فكيف بهم إذا كان القرآن الكريم كله بمثابة آية ، لاشك أن الأمر سيكون أشق وأصعب .

النوع الثاني : مبتدأ له مرفوع سد مسد الخبر :

وهو كل وصف اعتمد على استفهام أو نفي ، ورفع اسمًا ظاهرًا أو ضميرًا منفصلاً ، وتم الكلام به [2]

والمقصود بالوصف اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، والمنسوب .

وشرط الاعتماد على الاستفهام ، أو النفي هذا مذهب جمهور البصريين إلا الأخفش . نحو : أناجح الطالبان ؟ فـ (ناجح) مبتدأ ، والطالبان فاعل سد مسد الخبر ، وتقول : هل مكرم الرجلان ؟ فـ (مكرم) مبتدأ و (الرجلان) نائب فاعل سد مسد الخبر لأن اسم المفعول يعمل عمل الفعل المبني للمفعول .

---

(١) تفسير الشعراي ٢ : ١٢٧٧ ، وينظر : مفاتيح الغيب ٤ : ١٥٠ .
(٢) ينظر : الهمع ١ : ٩٤ ، شرح التصريح ١ : ١٥٧ ، شرح الأشموني ١/١٩٠، تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام : ١٨١ .

ولا فرق بين أن يكون الاستفهام بالحرف نحو قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ [١] فـ (راغب) مبتدأ ، و (أنت) فاعل سد مسد الخبر أو أن يكون بالاسم نحو : كيف جالس" العمران ؟

فـ (كيف) اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من (العمران) و (جالس) مبتدأ ، و (العمران) فاعل له سد مسد الخبر .

وأن يكون النفي بالحرف نحو : ما قائم الرجلان ، أو بالفعل نحو : ليس فائز المهملان .

وذهب الأخفش والكوفيون إلى عدم اشتراط الاعتماد على النفي أو الاستفهام ، فأجازوا : قائم" الزيدان على أن (قائم) مبتدأ ، و (الزيدان) فاعل سد مسد الخبر واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر [٢] :

خبير بنو لهب فلانك ملغيا مقالة لهبيٍّ إذا الطير مرّت

فـ (خبير) مبتدأ ، و (بنو لهب) فاعل سد مسد الخبر .

بينما يرى البصريون أن (خبير) خبر مقدم ، و(بنو) مبتدأ مؤخر ولا يلزم على هذا عدم التطابق بين المبتدأ والخبر لأن (خبير) مفرد و (بنو) جمع فيلزم البصريين على ذلك الإخبار عن الجمع بالمفرد ، ويجاب عن هذا بأن (خبير) وصف يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع لأنه على زنة المصدر نحو : الصهيل والنعيب ، والمصدر يخبر به عن الواحد والمثنى والجمع بلفظ واحد فيقال : محمد عدل ، والمحمدان

---

(١) مريم : ٤٦ .

(٢) هو رجل من طيئ لم يعرف اسمه ، والبيت من الطويل ، والمعنى : إن بني لهب عالمون بالزجر والعيافة ، فإذا قال أحدهم كلاما فاستمع إليه ولا تلغ ما يذكره إذا زجر أو عاف حين تمر الطير عليه . ينظر : الهمع ١ : ٩٤ ، شرح ابن عقيل ١ : ١٨٣ ، شرح التصريح ١ : ١٥٧ .

عدل ، والمحمدون عدل ، وقد وردت صيغة (فعيل) مخبراً بها عن الجميع في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (١)

أحكام المطابقة بين الوصف المعتمد وبين مرفوعه :

أولا : إن تطابقا إفرادًا نحو : أناجح" عليّ" ؟ جاز في الوصف وجهان : أحدهما أن يعرب مبتدأ ، وما بعده فاعلاً سد مسد الخبر . والثاني : أن يكون الوصف خبراً مقدماً ، وما بعده مبتدأ مؤخراً . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ﴾ (٢) يقول العبكري : " أحق : مبتدأ ، وهو : مرفوع به ، ويجوز أن يكون (هو) مبتدأ و (أحق) الخبر " (٣)

وأما قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي (٤)﴾ فـ (راغب) مبتدأ ، وأنت : فاعل سد مسد الخبر ، وهذا الإعراب أولى من إعراب (أنت) مبتدأ مؤخراً و (راغب) خبراً مقدماً ، إذ يلزم على هذا الوجه الفصل بين العامل الذي هو (راغب) وبين معموله وهو عن (آلهتي) بأجنبي وهو (أنت) إذا كان مبتدأ ، لأن الخبر ليس عاملاً في المبتدأ فكان الوجه الأول أولى (٥) .

ثانيا : إن تطابقا تثنية ، أو جمعاً نحو : هل ناجحان المجتهدان ؟ أو : هل ناجحون المجتهدون ، فإن الوصف يعرب خبراً مقدماً وما بعد الوصف مبتدأ مؤخراً هذا على المشهور من لغات العرب وهي لغة تجرد عامل الفاعل من علامة التثنية والجمع ، ويجوز على لغة " أكلوني البراغيث "

---

(١) التحريم : ٤

(٢) يونس : ٥٣ .

(٣) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٩ .

(٤) مريم : ٤٦ .

(٥) البحر ٦ : ١٨٣ ، حاشية الجمل ٣ : ٦٥ .

أن يكون الوصف مبتدأ ، وما بعده فاعلاً أغنى عن الخبر " [١]

ثالثا : وإن لم يتطابقا ، فهو قسمان : ممتنع ، وجائز .

أما الممتنع فنحو : أقائمان أخوك ؟ ، وأقائمون أخوك فهذا التركيب غير صحيح .

وأما الجائز ، فنحو : أقائمٌ أخوك ؟ أقائم إخوتك ؟ وحينئذ يتعين أن يكون الوصف مبتدأ ، وما بعده فاعلاً سد مسد الخبر [٢] لأننا لو جعلنا هذا التركيب على التقديم والتأخير ، للزم على ذلك الإخبار عن المثنى والجمع بالمفرد وهذا لا يجوز .

ومن الآيات التي ورد فيها الوصف مطابقاً لمرفوعه قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴾ [٣] فـ (قريب) مبتدأ معتمد على همزة الاستفهام و (ما) اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل سد مسد الخبر ، ويجوز في الآية الإعراب على التقديم والتأخير .

---

(١) ينظر : شرح ابن عقيل ١ : ١٨٦ .

(٢) ينظر : شرح ابن عقيل ١ : ١٨٧ ، شرح التصريح ١ : ١٥٨ ، حاشية الشيخ يس على شرح الفاكهي لقطر الندى ١ : ٢٤٩ .

(٣) الجن : ٢٥ .

ملحقات بالمطابقة في باب المبتدأ والخبر

وردت بعض آيات في القرآن الكريم ظاهرها عدم المطابقة بين ما كان مبتدأ وخبراً في الأصل من نحو :

ـ قوله تعالى : ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١]

فقد جاء خبر (إن) اسما مفردًا (رسول) واسمها ضمير الجمع (نا) في حين أنه في آية أخرى قال الله جل وعـــلا : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [٢] حيث جاء خبر (إن) مطابقًا لاسمها وللعلماء في توجيه الآية الأولى أقوال [٣] :

أحدها : أن (رسول) ـ هنا ـ مصدر بمعنى (رسالة) والمصدر يفرد في جميع أحوال إسناده فيقال : محمد عدل ، والمحمدان عدل ، والمحمدون عدل وهكذا ..... (رسول) بمعنى (رسالة) في قول كثير :

لقد كذب الواشون مافهت عندهم بسرٍّ ولا أرسلتهم برســـــول [٤]

أي : برسالة .

والثاني : أن موسى وهارون عليهما السلام ذوا شريعة واحدة فنزلا منزلة رسول واحد .

والثالث : أن المعنى أن كل واحد منا رسول .

والرابع : أنه من باب وضع الواحد موضع المثنى لتلازمهما فصارا كالشيئين المتلازمين كالعينين واليدين ، وهذا وجه ذكره السمين الحلبي [٥] .

---

(١) الشعراء : ١٦ .

(٢) طه : ٤٧ .

(٣) ينظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٤٥ ، معاني الزجاج ٤ : ٨٥ ، إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٦٧ ، الكشاف ٤ : ٣٨١ ، البحر ٧ : ٩ ، الدر المصون ٨ : ٥١٥ ـ ٥١٦ .

(٤) الكشاف ٤ : ٣٨٢ ، الدر ٨ : ٥١٥ .

(٥) الدر المصون ٨ : ٥١٦ .

والخامس : أن موسى عليه السلام هو الأصل ، وهارون تبع ، فذكر الأصل . وهذا وجه ذكره العكبري [١] .

وإنني أميل إلى التوجيه الأول من أن (رسول) هنا بمعنى رسالة ، حيث قصد به الرسالة أفرد ، وحيث قصد به المرسل طابق كما في قوله تعالى : : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ [٢] .

ويشبه هذه الآية قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣]

ويقول الأخفش عند قوله تعالى : ﴿ إنا رسول رب العالمين ﴾ : " وهذا يشبه أن يكون مثل (العدد) وتقول : هما عدوّ لي " [٤] يريد أنه يخبر به مفردًا مذكرًا في جميع أحواله فيقال : هو عدو ، وهي عدو ، وهما عدو ، وهم عدو ، وهن عدو .

وذكر السمين الحلبي وجهين آخرين في الآية ولم يرتضهما حيث قال : " وقيل : الأصنام لا تعادي لأنها جماد ، فالتقدير : فإن عبادهم عدو لي ، وقيل : بل في الكلام قلب ، تقديره : فإني عدو لهم ، وهذان مرجوحان لاستقامة الكلام بدونهما " [٥] .

هذا وقد ورد في القرآن الكريم لفظ (عدو) مقصوداً بها المفرد كما في قوله تعالى : ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ﴾ [٦] ، وقوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ [٧] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [٨] ومن ورودها في موطن الجمع قوله تعالى :

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٦٧ .
(٢) طه : ٤٧ .
(٣) الشعراء : ٧٧ .
(٤) معاني القرآن ٢ : ٦٤٥ .
(٥) الدر المصون ٨ : ٥٣٠ .
(٦) طه : ٣٩ .
(٧) القصص : ٨ .
(٨) فاطر : ٦ .

﴿ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ [٢] ، وقولـه : ﴿ الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [٣]

ويعد من هذا القبيل ــ أيضا ــ قوله تعالـى : ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [٤]

يقول الفراء : " ولم يقل : أئمة ، وهو واحد يجوز في الكلام أن تقول : أصحاب محمدٍ أئمة الناس ، وإمام الناس ، كما قال : ﴿ إنا رسول رب العالمين ﴾ للاثنين ومعناه : اجعلنا أئمة يقتدي بهم " [٥] .

وذهب الأخفش إلى أن (إمام) جمع واحده أمّ" كصائم وصيام [٦] .

ويجوز أن يكون المراد : اجعل كل واحد منا إمامًا ، إما لاتحادهم واتفاق كلمتهم ، وإما لأنه مصدر كالصيام والقيام [٧] . والمصدر ــ معروف ــ أنه لا يثنى ولا يجمع .

وإنني أميل إلى التوجيه الأول وهو أنه مفرد أراد به الجمع أي : أراد به جنس الأئمة ، والذي حسّن ذلك وجعله كونه رأس آية [٨] .

ومن نحو قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [٩]

يقول الزمخشري : " فإن قلت كيف صح مجئ (خاضعين) خبراً عن الأعناق؟ قلت : أصل الكلام : فظلوا لها خاضعين ، فأقحمت الأعناق لبيان

---

(١) النساء : ١٠١ .
(٢) المنافقون : ٤ .
(٣) الزخرف : ٦٧ .
(٤) الفرقان : ٧٤ .
(٥) معاني القرآن ٢ : ٢٧٤ .
(٦) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٤٣ .
(٧) ينظر : البحر ٦ : ٤٧٤ ، الدر المصون ٨ : ٥٠٦ .
(٨) البحر ٦ : ٤٧٤ .
(٩) الشعراء : ٤ .

موضع الخضوع ، وترك الكلام على أصله ، كقوله : ذهبت أهل اليمامة ، كأن الأهل غير مذكور "[١] .

ولم يرتض السمين الحلبي هذا الوجه حيث يقول :" وفي التنظير بقوله : ذهبت أهل اليمامة نظر ، لأن (أهل) ليس مقحمًا ألبتة لأنه المقصود بالحكم ، وأما التأنيث فلاكتسابه التأنيث "[٢]

على أن هناك توجيهات أخرى ذكرها العلماء في الإخبار عن (الأعناق) بجمع المذكر :

١ ــ أن المراد بالأعناق الرؤساء ، كما قيل : لهم وجوه وصدور ، يقال كذلك : لهم أعناق أي : وجهاء ورؤساء .

قال الشاعر [٣] :

ومشهدٍ قد كفيت الغائبين به
في مجمع من نواصي الخيل مشهود

٢ ــ أن الكلام على حذف مضاف ، والتقدير : فظل أصحاب الأعناق ، ثم حذف المضاف وبقي الخبر على ما كان عليه قبل حذف المخبر عنه مراعاة للمحذوف .

٣ ــ أن (أعناق) لما أضيف إلى الضمير (هم) وهو للعقلاء اكتسب منهم هذا الحكم كما يكتسب التأنيث بالإضافة إلى مؤنث ، كما في قوله [٤] :

---

(١) الكشاف : ٤ : ٣٧٦ .
(٢) الدر المصون ٨ : ٥١١ .
(٣) البيت لأم قيس الضبية ، أو لكبشة أخت عمرو بن معد يكرب وهو من البسيط ، ينظر : الكشاف ٣ : ١٠٤ ، البحر ٧ : ٦ ، الدر ٨ : ٥١٠ .
(٤) هو الأعشى ميمون ، والبيت من الطويل ، ينظر : معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٤٤ ، الدر ٨ : ٥١٠ .

وتشرَق بالقول الذي قد أذعته

كما شرِقت صدر القناة من الدم

٤ ــ أن الأعناق جمع (عنق) وهم الجماعة من الناس ، فليس المراد بالعنق الجارحة ، ومن هذا قوله [١] :

أبلغ أمير المؤمنيـــــــــــن أخا العراق إذا أتينـــــا

أن العراق وأهلـــــــــه عنق إليك فهيت هيتـــــا

والفرق بين هذا المعنى والمعنى الأول : أن العنق هنا يطلق على جميع الناس رؤساء كانوا أو غير رؤساء .

٥ ــ أنها عوملت معاملة العقلاء لما أسند إليهم ما يكون فعل العقلاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [٢]

وعند معنى هذه الآية :

يقول الفراء : " فإن هذه النون والواو إنما تكونان في جمع ذكران الجن والإنس وما أشبههم ، فيقال : الناس ساجدون ، والملائكة والجن ساجدون ، فإذا عددت هذا صار المؤنث والمذكر إلى التأنيث ، فيقال : الكباش قد ذُبِّحن وذُبِّحتْ ، ومذبَّحات ، ولا يجوز : مذبحون ، وإنما جاز في الشمس والقمر والكواكب بالنون والياء لأنهم وصفوا بأفاعيل الآدميين ، ألا ترى أن السجود والركوع لا يكون إلا من الآدميين فأخرج فعلهم على فعال الآدميين ، ومثله : "وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا " فكأنهم خاطبوا رجالاً إذ كلمتهم

---

(١) نسبه صاحب اللسان إلى شاعر يخاطب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، من الكامل . ينظر : الدر ٨ : ٥١١ .

(٢) يوسف : ٤ .

وكلموها ، وكذلك (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) فما أتاك مواقعًا لفعل الآدميين من غيرهم أجريته على هذا " [١] .

وذكر الزركشي :

قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ﴾ [٣] وقوله تعالى : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٤] وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴾ [٥] وقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ [٦] وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ [٧]

ثم قال : " لما أخبر عنها بأخبار الآدميين جرى ضميرها على حد من يعقل " [٨]

---

(١) معاني القرآن ٢ : ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) الشعراء : ٧٢ .
(٣) فصلت : ٢١ .
(٤) يس : ٤٠ .
(٥) الأنبياء : ٦٥ .
(٦) الأنبياء : ٩٩ .
(٧) النمل : ١٨ .
(٨) البرهان في علوم القرآن ٣ : ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

المبحث الثالث

المطابقة في باب الفاعل

جاء في شرح التصريح :

الفاعل لغة : من أوجد الفعل .

واصطلاحًا : اسم صريح ظاهر أو مضمر ، بارز أو مستتر ، أو ما في تأويله أي : الاسم ، أسند إليه فعل تام متصرف أو جامد أو ما في تأويله أي : الفعل ، مقدم على المسند إليه [1] .

وعلى هذا : فالفعل مسند ، والفاعل مسند إليه ، وكما قال ابن يعيش : "واعلم أن الفاعل في عرف النحويين : كل اسم ذكرته بعد فعل ، وأسند ونسبت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم " [2] .

ومن هنا .. فإن إسناد أحدهما إلى الآخر يتطلب أن تكون بينهما مطابقة ، وهذه المطابقة تكون في أمرين :

أولهما : المطابقة في التذكير والتأنيث .

والثاني : في الإفراد والتثنية والجمع .

أولا : المطابقة في التذكير والتأنيث :

الأصل في هذه المسألة أن الفعل يطابق الفاعل تذكيرًا وتأنيثا ، فإذا كان الفاعل مذكراً ذكر له الفعل ، وإذا كان مؤنثا أنث له .

فإذا كان الفاعل مذكرًا مفردًا كان أو مثنى أو مجموعًا بقى الفعل بلفظ المذكر من غير أن تلحقه علامة تدل على التأنيث ، ولم يرد ــ ألبتة ــ فاعل مذكر أنث معه الفعل ، وما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، واللسان العربي شعرًا ونثراً يؤكد هذا ويؤيده :

---

(١) شرح التصريح ١ : ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .
(٢) شرح المفصل ١ : ٧٤ .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـهَيْنِ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ [٣] ،وقال تعالى: ﴿ وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ ﴾ [٤]

وأما إذا كان الفاعل مؤنثاً فإن في المسألة تفصيلاً :

أ ــ وجوب المطابقة :

وتجب المطابقة بين الفعل وفاعله المؤنث في موضعين [٥] :

١ ــ إذا كان الفاعل اسما ظاهرًا مؤنثا حقيقي التأنيث متصلاً بالفعل ، نحو : جاءت زينب ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ [٦] ، ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ ﴾ [٧] ، ﴿ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ [٨]

٢ ــ إذا كان الفاعل ضميرًا يعود مؤنث حقيقي ، أو على مؤنث مجازي ، مثل : هند قامت ، والشمس طلعت ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ﴾ [٩]

فالأفعال : سمعت ، وأرسلت ، وأعتدت ، وآتت ، وقالت ، أفعال واجبة التأنيث لأن الفاعل فيها ضمير مستتر تقديره (هي) يعود على امرأة هي امرأة العزيز .

---

(١) النحل : ٥١ .
(٢) القصص : ٢٠ .
(٣) المائدة : ٢٣ .
(٤) التوبة : ٩٠ .
(٥) ينظر : الخصائص ٤ : ٤١٤ ، أوضح المسالك ٢ : ١٠٨ ـ ١١٢ ، الأشموني ٢ : ٥١
(٦) آل عمران : ٣٥ .
(٧) طه : ٤٠ .
(٨) يوسف : ٥١ .
(٩) يوسف : ٣١ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [١] وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ [٢] فالفعلان : تجري ، ورحبت ، وجب تأنيثهما لأن فاعلهما ضمير" يعود على مؤنث مجازي (الشمس ، والأرض) .

ب ــ جواز المطابقة وعدمها :

وتجوز المطابقة وعدمها بين الفعل والفاعل المؤنث في المواضع التالية[٣] :

١ ــ إذا كان الفاعل اسمًا ظاهراً حقيقي التأنيث فصل بينه وبين الفعل بفاصل نحو : نجح في الامتحان هند ، ويجوز : نجحت في الامتحان هند ، وجاز حذف التاء من الفعل لطول الكلام . يقول سيبويه : " وكلما طال الكلام فهو أحسن (أي : حذف التاء) نحو قولك : حضر القاضي امرأة" ، لأنه إذا طال الكلام كان الحذف أجمل ، وكأنه شيء يصير بدلاً من شيء ، كالمعاقبة ، نحو قولك : زنادقة ، وزناديق ، فتحذف الياء لمكان الهاء " [٤] .

والأجود إثبات التاء مع الفصل بل قيل واجب [٥] حيث جاء بهذا الوجه القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا ﴾ [٦] فقد ثبتت التاء في الفعل مع وجود الفصل بينه وبين الفاعل وهو مؤنث حقيقي (إحداهما) بضمير المفعول به ، ومثله قوله تعالـــــــى :

---

(١) يس : ٣٨ .
(٢) التوبة : ١١٨ .
(٣) ينظر : أوضح المسالك ٢ : ١١٢ وما بعدها ، الأشموني ٢ : ٥٤ وما بعدها .
(٤) الكتاب ٢ : ٣٨ .
(٥) حاشية الصبان ٢ : ٥٢ .
(٦) القصص : ٢٥ .

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا ﴾ [١]

وقد جاء في الشعر العربي الحذف مع الفصل كما في قوله [٢] :

لقد ولد الأخيطل أمُّ سُوءٍ على باب استها صلَبٌ وشامُ

فقد حذفت تاء التأنيث من الفعل (ولد) وهو مسند إلى (أم سوء) وهو مؤنث حقيقي لوجود الفصل بالمفعول به (الأخيطل) .

وقوله [٣] :

إن امرؤً غرّه منكن واحدةٌ بعدي وبعدك في الدنيا لمغرورُ

فقد ذكر الفعل (غره) مع أنه مسند إلى مؤنث حقيقي (واحدة) لوجود الفصل بينهما بالجار والمجرور (منكن) .

٢ ــ إذا كان الفاعل مؤنثاً مجازياً متصلاً بالفعل ، نحو : طلع الشمس ، وطلعت الشمس .

يقول ابن يعيش : " فإن كان المؤنث غير حقيقي ، بأن يكون من غير الحيوان ، نحو النعل والقدر والسوق ، ونحو ذلك ، فإنك إذا أسندت الفعل إلى شيء من ذلك ، كنت مخيراً في إلحاق العلامة وتركها ، وإن لاصق نحو : انقطع النعل وانقطعت النعل ، لأن التأنيث لما لم يكن حقيقيًا ضعف " [٤] .

ومن شواهد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾ [٥] بتأنيث الفعل (ربح) ، وقوله تعالـــــــــــى :

---

(١) لقمان : ١٤ .

(٢) هو جرير يهجو الأخطل ، والبيت من الوافر . والصلب بضمتين جمع صليب النصارى ، والشام : جمع شامة ، واراد أنه عارف بذلك الموضع . ينظر : المقتضب ٢ : ١٤٥ ، ٣ : ٣٤٩ ، الخصائص ٢ : ٤١٤ ، الأشموني ٢ : ٥٢ ، أوضح المسالك ٢ : ١١٢

(٣) لم أعثر على قائله ، والبيت من البسيط ، ينظر : الخصائص ٤ : ٢٤١٤ ، الأشموني ٢ : ٥٢

(٤) شرح المفصل ٥ : ٩٢ .

(٥) البقرة : ١٦ .

﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾ [١] فالشمس نائب فاعل وهو مؤنث مجازي وذكر معه الفعل (جمع) .

٣ ـ إذا كان الفاعل مؤنثاً مجازياً مفصولاً بينه وبين الفعل بفاصل نحو: امتلأ بالماء البئر ، ويجوز امتلأت بالماء البئر .

وقد جاء الفعل مذكراً في نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [٢] وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ [٣] ، وقوله تعالى : ﴿ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [٤] وقوله تعالى : ﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ ﴾ [٥] وقوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ ﴾ [٦] .

وجاء مؤنثاً في نحو قوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [٧] وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ﴾ [٨] وقوله تعالى : ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ [٩] وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ [١٠] وقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ [١١] . وقد قيل إن الأجود حذف التاء إظهارًا لفضل المؤنث الحقيقي على غيره [١٢] .

---

(١) القيامة : ٩ .
(٢) البقرة : ٢٧٥ .
(٣) المائدة : ١٠٠ .
(٤) الأنعام : ١٥٧ .
(٥) هود : ٦٧ .
(٦) الروم : ٥٧ .
(٧) يونس : ٥٧ .
(٨) المائدة : ٥٢ .
(٩) الأنعام : ٧٠ .
(١٠) الأعراف : ٧٨ ، ٩١ .
(١١) التوبة : ٢٥ .
(١٢) ينظر : الصبان ٢ : ٥٢ .

قال الدماميني : " والذي يظهر لي خلاف ذلك فإن الكتاب العزيز قد كثر فيه الإتيان بالعلامة عند الإسناد إلى ظاهر غير حقيقي كثرة فاشية ، فقد وقع فيه من ذلك ما ينيف على مائتي موضع ، ووقع فيه ما تركت فيه العلامة نحو خمسين موضعًا ، وأكثرية أحد الاستعمالين دليل على أرجحيته فينبغي أن إثبات العلامة أحسن" [١]

٤ ــ إذا أسند الفعل إلى جمع غير مذكر سالم .

كما إذا أسند إلى جمع مؤنث سالم ، أو جمع تكسير ، أو اسم جمع . فالتذكير على التأويل بالجمع ، والتأنيث على التأويل بالجماعة[٢]

فإذا كان الفاعل جمع مؤنث سالمًا أنث مع الفعل وذكر سواء كان هذا الجمع لمؤنث حقيقي ، أو مجازي ، نحو : قام الهندات وقامت الهندات ، بنى الحجرات وبنيت الحجرات .

ويرى إمام النحاة سيبويه ترك التاء مع جمع المؤنث المجازي ، وإثباتها في الحقيقي [٣] .

ويتبع المبرد سيبويه فيما ذهب إليه ويعلل لذلك بقوله : " لأن هذا جمع حقيقي لا يغير الواحد عن بنائه " [٤] .

ويتبعهما في ذلك ابن يعيش حيث يقول : " إنما كان منه لمؤنث نحو : المسلمات . والهندات كان الوجه تأنيث الفعل " [٥] .

---

(١) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها ، وينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٨ : ٤٦٢ ـ ٤٦٦ .

(٢) ينظر : شرح المفصل ٥ : ١٠٣ ، شرح الأشموني ٢ : ٥٤ ، شرح التصريح ١ : ٢٨٠ ، شرح الشذور : ١٧٥ .

(٣) ينظر : الكتاب ٢ : ٣٩ .

(٤) المقتضب ٣ : ٣٤٩ .

(٥) شرح المفصل ٥ : ١٠٣ .

وهذا الاتجاه مذهبُ البصريين [١] لأن جمع المؤنث السالم مؤنث من وجهين أحدهما : أن مفرده مؤنث ، والثاني : تقديره بالجماعة ، ولو ذكرنا فعله يكون ذلك التذكير من جهة التأويل بالجمع فقط [٢] .

وأما الكوفيون فإنهم يجوزون مع جمعي الفصيح المذكر والمؤنث التذكير والتأنيث ، ووافقهم أبو علي الفارسي في المؤنث [٣] ، محتجين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ [٤] وبقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ [٥] ، ويقول الشاعر [٦] :

فبكى بناتي شجوهن وزوجتي والظاعنون إليّ ثم تصدعـــــوا

حيث قال (بكى) ولم يقل (بكت)

وأجيب عن هذه الشواهد بأن (البنين والبنات) لم يسلم فهما لفظ الواحد فهما جمع التكسير في تذكير الفعل وتأنيثه معه ، وبأن التذكير في (جاءك) للفصل بين الفعل وفاعله بضمير المخاطب وهو مفعول به ، أو لأن الأصل : النساء المؤمنات ، أو لأن (أل) مقدرة باللاتي وهي اسم جمع [٧] .

وبتتبعي لآيات القرآن الكريم وجدت الفعل قد ذُكّر مع جمع المؤنث المجازي من غير أن يكون هناك فاصل بين الفعل وفاعله في قوله تعالى :

---

(١) حاشية يس على الفاكهي ٢ : ٦٧ .
(٢) ينظر : شرح المفصل ٥ : ١٠٣ .
(٣) ينظر : أوضح المسالك ٢ : ١١٦ ، الأشموني ٢ : ٥٤ .
(٤) يونس : ٩٠ .
(٥) الممتحنة : ١٢ .
(٦) هو عبدة بن الطيب ، والبيت من الكامل وشجوهن : جزنهن ، تصدعوا : تفرقوا ، والبيت من شواهد أوضح المسالك ٢ : ١١٦ ، الأشموني ٢ : ٥٤ .
(٧) ينظر : شرح التصريح ١ : ٢٨٠ ـ ٢٨١ ، الأشموني ٢ : ٥٤ ، حاشية يس على الفاكهي ٢ : ٦٧ .

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّيَ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ (١)

حيث ذكر الفعل (ذهب) مع الفاعل (السيئات) وهو جمع مؤنث مجازي .

ووجدته مذكرا ــ أيضا ــ مع جمع المؤنث الحقيقي في موضعين ولكن لوجود الفاصل بينه وبين فاعله في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ (٣)

وإذا كان الفاعل جمع تكسير جاز ــ أيضا ــ تذكير الفعل وتأنيثه ، تذكيره على معنى الجمع ، وتأنيثه على معنى الجماعة ، قال ابن يعيش : "فما كان من الجمع مكسرًا فأنت مخير في تذكير فعله وتأنيثه ، نحو : قام الرجال ، وقامت الرجال ، من غير ترجيح لأن لفظ الواحد فيه زال بالتكسير وصارت المعاملة مع لفظ الجمع " (٤)

ومن شواهد تأنيث الفعل مع جمع التكسير في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ﴾ (٥) وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (٦) .

ومن شواهد التذكير قوله تعالى : ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (٧) وقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ ﴾ (٨) .

---

(١) هود : ١٠ .
(٢) الممتحنة : ١٠ .
(٣) الممتحنة : ١٢ .
(٤) شرح المفصل ٥ : ١٠٣ وينظر شرح الرضي على الكافية ٣ : ٣٤٢ .
(٥) العنكبوت : ٣١ .
(٦) فاطر : ٤ .
(٧) آل عمران : ١٨٤ .
(٨) البقرة : ١٤٢ .

وهذا الحكم في التذكير والتأنيث مع جمع التكسير يستوي إن كان جمع التكسير لمذكر نحو : قام الرجال ، أو لمؤنث نحو : قامت الهنود .

ويلحق بجمع التكسير في جواز تأنيث الفعل وتذكيره لإسناده إليه : اسم الجمع نحو : قوم ونساء ، واسم الجنس نحو : بقر ، وغنم .

فمن شواهد مجئ الفعل مذكراً مع فاعله اسم الجمع قوله تعالـــــى : ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ﴾ (١)

ومن شواهد مجيئه مؤنثا قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾ (٢)

ومن شواهد مجئ الفعل مذكرا مع اسم الجنس قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ (٣) ، ومؤنثاً قوله تعالى : ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ﴾ (٤)

٥ ــ إذا كان الفاعل اسمًا ظاهرًا مرادًا به الجنس بأن كان فاعل نعم أو بئس ، فنقول : نعم الأم المربية لأبنائها وبئست الفتاة المستهترة بأمر دينها ، فالتأنيث على مقتضى الظاهر ، والتذكير على إرادة الجنس (٥) .

ثانيا : المطابقة في العدد .

من الأحكام التي أثبتها عامة النحاة للفاعل أن الفعل يوحد له مع تثنيته وجمعه ، كما يوحد مع إفراده .

فكما يقال : قام أخوك ، يقال : قام أخواك ، وقام إخوتك ، قال تعالى : ﴿ وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى ﴾ (٦) ، وقال تعالى : ﴿ قَالَ

---

(١) الأنعام : ٦٦ .
(٢) غافر : ٥ .
(٣) البقرة : ٧٠ .
(٤) الأنبياء : ٧٨ .
(٥) حاشية يس على الفاكهي ٢ : ٦٥ .
(٦) القصص : ٢٠

رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [٣]

وقد نسب إلى طائفة من العرب ، وهم طئ ، وقيل هم أزدشنوءة ، وقيل بنو الحارث بن كعب [٤] تثنية الفعل وجمعه مع الفاعل المثنى والمجموع ، فيقال : قاما أخواك ، وقاموا إخوتك ، وقمن النسوة .

وهذه اللغة سميت عند النحاة بلغة أكلوني البراغيث ، أو بلغة (يتعاقبون فيكم ملائكة) كما سماها ابن مالك [٥] مستنداً على الحديث الشريف : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار " [٦] .

وهذه اللغة قال عنها ابن يعيش : " وهي لغة فاشية لبعض العرب ، كثيرة في كلامهم وأشعارهم " [٧] .

وقد جوّزها الفرّاء فقال في حديثه عن قوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [٨]

" وإن شئت كانت رفعًا ــ أي (الذين) ــ كما يجوز ذهبوا قومك " [٩] ووافقه الأخفش في هذا حيث يقول : " أو جاء هذا على لغة الذين يقولون : ضربوني قومُك " [١٠] .

---

(١) المائدة : ٢٣ .
(٢) الفرقان : ٨ .
(٣) يوسف : ٣٠ .
(٤) ينظر : الكتاب ١ : ٢٠ ، معاني القرآن للأخفش ٢ : ٤٧٥ ، شرح الرضي على الكافية ١ : ٢٢٥ ، الهمع ١ : ١٦٠ ، أوضح المسالك ٢ : ٩٨ ، شرح الأشموني ٢ : ٤٦ .
(٥) ينظر : شرح ابن عقيل ١ : ٤٢٩ .
(٦) الحديث في البخاري ٢ : ٢٢١ ، ومسند أحمد ٢ : ٤٨٦ ، موطأ مالك ١ : ١٧٠ . وهو في : شواهد التوضيح : ١٩٢ ، شرح الشذور : ١٧٧ ، شرح ابن عقيل ١ : ٤٢٩ ، ارتشاف الضرب ١ : ٣٥٤ .
(٧) شرح المفصل ٣ : ٨٧ .
(٨) الأنبياء : ٣ .
(٩) معاني القرآن للفراء ١ : ٣١٧ .
(١٠) معاني القرآن للأخفش ٢ : ٦٣٢ .

بينما ذهب سيبويه إلى توجيه الرفع في (الذين) على البدلية من (الواو) حيث قال : " وأما قوله جل ثناؤه (وأسروا النجوى الذين ظلموا) فإنما يجئ على البدل ؛ وكأنه قال : انطلقوا فقيل له : من ؟ قال : بنو فلان " [١]

ولم يرتض عبد القادر البغدادي هذا التوجيه فقال : " وقد تعسف بعض النحاة في تأويلها وردها للبدل وهو تكلف مستغنى عنه ، فإن تلك اللغة مشهورة ولها وجه من القياس واضح " [٢] .

ويذكر النحاة توجيهات أخرى للرفع سوى البدلية ، أو الفاعلية ، مجوزين أن يكون الرفع على أن (الذين) مبتدأ والخبر قوله تعالى بعد (هل هذا) والتقدير : الذين ظلموا يقولون : هل هذا .

ويجوزون : أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي : هم الذين ظلموا [٣]

ويجوز الفراء أن يكون (الذين) في موضع خفض نعتًا [٤] للناس في قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [٥]

وذكر مكي أن يكون (الذين) في موضع نصب بتقدير : أعني [٦] .

وقد وردت هذه اللغة في الشعر كثيرًا ، من هذا قول الفرزدق :

ولكن ديافيٌّ أبوه وأمـــــه بحوران يعصرْن السليط أقاربُهْ [٧]

---

(١) الكتاب ٢ : ٤١ .
(٢) تخريج أحاديث الرضي في شرح الكافية : ٧٤ .
(٣) ينظر : إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٣٠.
(٤) معاني القرآن ١ : ٣١٧ .
(٥) الأنبياء : ١.
(٦) مشكل إعراب القرآن : ٤٤٨.
(٧) البيت من الطويل ، وديافيّ : نسبة إلى دياف موضع بالشام ، حوران : موضع بدمشق والسليط : الزيت ، ينظر : الخصائص ٢ : ١٩٤ ، شرح المفصل ٣ : ٨٩ ، الهمع ١ : ١٦٠

وقوله [١] :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعد حميـــــــــم

وقوله [٢] :

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي

فأعرضن عني بالخدود النواضر

وقوله [٣] :

يلومونني في اشتراء النخيل أهلي فكلهم يعذل

فقد لحقت كما نرى علامة جمع المؤنث (نون النسوة) الفعلين (يعصرن ورأين)

وعلامة التثنية الفعل (أسلماه) وعلامة جمع المذكر (واو الجماعة) في الفعل (يلومونني) .

---

(١) البيت لعبد الله بن قيس الرقيات وهو من الطويل يرثى فيه مصعب بن الزبير . والمراقين : جمع مارق وهم الخوارج ، وأسلماه : خذلاه ، ومبعد : الرجل الغريب ، وحميم : الصديق ، ينظر : أمالي ابن الشجري ١ : ١٩٩ ، الهمع ١ : ١٦٠ ، الأشموني ٢ : ٤٧ ، تخليص الشواهد : ٤٧٣ .

(٢) هو محمد بن عبد الله العتبي ، والبيت من الطويل ، والغواني جمع غانية وهي من استغنت بجمالها عن الزينة ، وعارضي : جانب راس . والبيت من شواهد : شرح الشذور : ١٧٩ ، ابن عقيل ١ : ٤٢٨ ، الكافية الشافية ١ : ٢٥٩ .

(٣) لم يعرف قائله ، وهو من المتقارب ، وهو من شواهد : أوضح المسالك ٢ : ١٠١ ، ابن عقيل ١ : ٤٢٧ ، الهمع ١ : ١٦٠ .

المبحث الرابع

المطابقة في باب التوابع

أولا : المطابقة بين النعت ومنعوته :

النعت نوعان : حقيقي ، وسببي

فأما الحقيقي فهو : ما يفيد معنى في متبوعه ، ويرفع ضميره ، ويتبع منعوته في أربعة من عشرة .

والنعت الحقيقي يتبع منعوته في الإعراب ، وفي التعريف والتنكير ، وفي التذكير والتأنيث أو ما يعبر عنه النحاة بقولهم : يتبع النعت منعوته في أربعة من عشرة . واحد من الرفع والنصب والجر ، وواحد من التعريف والتنكير ، وواحد من التذكير والتأنيث ، وواحد من الإفراد والتثنية والجمع .

يقول ابن يعيش : " قد تقدم قولنا : إن الصفة تابعة لموصوف في أحواله ، وجملتها عشرة أشياء ، رفعه ونصبه وخفضه ، وإفراده وتثنيته وجمعه ، وتنكيره وتعريفه ، وتذكيره وتأنيثه " (١)

وسبب هذا التطابق كما يفهم من كلام سيبويه التركيب بين النعت ومنعوته وأنهما اسم واحد حيث يقول : " هذا باب ما يكون الاسم والصفة بمنزلة اسم واحد " (٢) .

وتبعه في هذا المبرد حيث يقول : " هذا زيُد بن على وهذا عمرو بن زيد ... فأما أكثر النحويين فيذهبون إلى أن التنوين إنما حذف لالتقاء الساكنين ، وكان هذا لازمًا ، لأنهما بمنزلة شيء واحد " (٣) .

---

(١) شرح المفصل ٣ : ٥٤ ، وينظر الأصول لابن السراج ٢ : ٢٣ ، قطر الندى : ٣٨٢ ، شرح التصريح ٢: ١٠٩، شرح الرضي على الكافية ٢ : ٣٠٢ .

(٢) الكتاب ١ : ٤٢١ .

(٣) المقتضب ٢ : ٣١١ .

وقال الرضي : " وإنما تبعه في هذه العشرة لكونه إياه في المعنى " [١]

ويقول ابن يعيش : " وإنما وجب للنعت أن يكون تابعًا للمنعوت فيما ذكرناه ، من قبل أن النعت والمنعوت كالشيء الواحد . فصار ما يلحق الاسم يلحق النعت ، وإنما قلنا إنهما كالشيء الواحد ، من قبل أن النعت يخرج المنعوت من نوع إلى نوع أخص منه ، فالنعت والمنعوت بمنزلة نوع أخص من نوع المنعوت وحده " [٢]

وقد جاء النعت الحقيقي في القرآن الكريم مطابقًا لمنعوته فيما ذكرناه نحو قوله تعالى : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ [٣]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ [٤]

وقوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ [٥]

وقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [٦]

والأمثلة على المطابقة في النعت الحقيقي في القرآن الكريم كثيرة جدًا .

ولكن قد يخالف النعت منعوته في الإعراب ، وهذا ما يعرف لدي النحاة بالقطع ، وحقيقته كما يقول الشيخ خالد [٧] : " أن يجعل النعت خبراً لمبتدأ محذوف ، أو مفعولاً لفعل ، فإن كان النعت المقطوع لمجرد مدح أو ذم أو ترحم وجب حذف المبتدأ إن رفعت النعت وقدرت (هو) ، والفعل إن نصبت النعت " [٨] .

---

(١) شرح الرضي ٢ : ٣٠٧ .
(٢) شرح المفصل ٣ : ٥٢ .
(٣) البقرة : ٢١١ .
(٤) البقرة : ٢٢١ .
(٥) آل عمران : ٩٧ .
(٦) الأحقاف : ٣٥ .
(٧) هو زين الدين خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري نشأ بجرجا وعاش بالقاهرة ت ٩٠٥ هـ . شذرات الذهب ٨ : ٢٦ .
(٨) شرح التصريح ٢ : ١١٧ .

وإنما يجوز القطع إذا كان المنعوت معلومًا بدون النعت [١] ، وأن نعته لا يميزه عن غيره ، وإنما جئ به لمجرد المدح أو الذم ، فإذا كان المنعوت مبهمًا لدي السامع من دون النعت فلابد من إتباع النعت لمنعوته .

أقول ــ مثلا ــ : الحمد لله الحميد ، بالأوجه الثلاثة الجر على الإتباع والمطابقة ، والرفع على القطع على أنه خبر لمبتدأ محذوف : هو الحميدُ ، والنصب على المدح : أعني الحميدَ أو أخص ، أو أمدح ، وإنما جاز في هذا المثال الأوجه الثلاثة لأن المنعوت معلوم بدون النعت المذكور .

وأما إذا قلت : سلمت على محمدٍ الكريم ، فليس في النعت ــ هنا ــ إلا الجر لأن المنعوت مبهم وغير معلوم بدون النعت المذكور ؛ لأن النعت هنا معنوي لا لفظي .

يقول سيبويه عن هذه الظاهرة : " هذا باب ما ينتصب على التعظيم والمدح ، وإن شئت جعلته صفة فجرى على الأول ، وإن شئت قطعته فابتدأته ، وذلك قولك : الحمد لله الحميدَ هو ، والحمد لله أهل الحمد ، والملك لله أهلَ الملك ، ولو ابتدأته فرفعته كان أحسن ، كما قال الأخطل :

نفسي فداء أميرِ المؤمنيـــــن إذا
أبدى النواجذَ يوم" باسل" ذكـــــرُ

الخائضُ الغمر والميمونُ طائره
خليفة الله يستسقى به المطرُ " [٢]

حيث جاءت (الخائض) مرفوعة على القطع أي : هو الخائض .

---

(١) شرح شذور الذهب : ٤٣٤ .
(٢) الكتاب ٢ : ٦٢ .

ومما ورد في القرآن الكريم من هذا الباب قوله تعالى : ﴿ **وامرأته حمّالةَ الحطب** ﴾ [١] ، فقد قرأ عاصم بنصب (حمالة) على الذم لها ؛ لأنها كانت قد اشتهرت بالنميمة فجرت صفتها على الذم لها لا للتخصيص[٢] .

يقول سيبويه : " بلغنا أن بعضهم قرأ هذا الحرف نصباً (وامرأته حمالة الخطب) لم يجعل الحمالة خبراً للمبتدأ للمرأة ولكنه كأنه قال : أذكر حمالة الحطب شتماً لها " [٣] .

وقرأ الباقون بالرفع على الصفة ، أو على إضمار مبتدأ ، أي : هي حمالةُ ، أو على البدل من (امرأتهُ) أو على الخبر لـــ (امرأته) [٤] .

يقول صاحب الكشف : " وفي الرفع ــ أيضا ــ ذم لكن هو في النصب أبين ؛ لأنك إذا نصبت لم تقصد إلى أن تزيدها تعريفًا وتبيينا ، إذ لم تجر الإعراب على مثل إعرابها ، إنما قصدت إلى ذمها ، لا لتخصيصها من غيرها بهذه الصفة التي اختصصتها بها " [٥] .

ويقول النسفي : " ونصب عاصم (حمالة الحطب) على الشتم وأنا أحب هذه القراءة " [٦] .

ومن هذا الباب ــ أيضا ــ قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ** ﴾ [٧]

---

(١) المسد : ٤ .
(٢) ينظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع ٢ : ٣٩٠ ، الإقناع في القراءات السبع : ٤٨٧ .
(٣) الكتاب ٢ : ٦٢ ، وينظر : معاني القرآن للفراء ٣ : ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، معاني القرآن للأخفش ٢ : ٧٤٥ .
(٤) الكشف ٢ : ٣٩٠ ، وينظر : حاشية الجمل ٤ : ٦٠٢ ، منار الهدى : ٤٣٧ .
(٥) الكشف ٢ : ٣٩٠ .
(٦) النسفي ٤ : ٣٨٤ .
(٧) الأنعام : ٦٢ .

فقد قرأ الجمهور بالجر إتباعًا للمنعوت ، وقرأ الحسن وقتادة [١] بالنصب على القطع فانتصبت على المدح [٢] .

ومن هذا الباب ــ أيضا ــ قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [٣]

فقد قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو بكر برفع (عالم) بالقطع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أي : هو عالم ، وقرأ الباقون بالجر على الإتباع للفظ الجلالة ، وقد اختار هذا الوجه أكثر العلماء ليتصل بعض الكلام ببعض ويكون كله جملة واحدة [٤] .

وقد خالف في هذه المطابقة بعض النحاة ، فأجاز بعض الكوفيين وصف النكرة بالمعرفة فيما فيه مدح أو ذم[٥] محتجين بقوله تعالى:﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾ [٦]

---

(١) مختصر في شواذ القرآن : ٤٣ .
(٢) ينظر البحر ٤ : ١٥٣ وفيه نسبت القراءة إلى الأعمش ـ أيضا ـ .
(٣) المؤمنون ٩١ ـ ٩٢ .
(٤) ينظر : الكشف ٢ : ١٣١ ، الإقناع : ٤٣٣ .
(٥) الهمع ٢ : ١١٦ .
(٦) الهمزة ١ ـ ٢ .

وقد خرج على أنه بدل ،أو نعت مقطوع إلى الرفع، أو إلى النصب [١]

وأجاز ابن الطراوة [٢] وصف المعرفة بالنكرة إذا كان الوصف خاصًا بالموصوف لا يوصف به غيره [٣] محتجا بقول الشاعر [٤] :

فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السمُّ ناقع

فـ (ناقع) وهو نكرة صفة (للسم) وهو معرفة .

ومنع ذلك البصريون ، ولا حجة فيه لأنه خبر ثان [٥] .

هذا وقد وردت بعض الآيات في القرآن الكريم يوحي ظاهرها بعدم المطابقة بين النعت ومنعوته وأذكر منها على سبيل المثال :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [٦] فـ (الموازين) جمع ، وقد نعت بمفرد هو (القسط) ، والسبب في ذلك كما يقول الفرّاء : " القسط من صفة الموازين وإن كان موحداً وهو بمنزلة قولك للقوم : أنتم رضا وعدل وكذلك الحق إذا كان من صفة واحدٍ أو اثنين أو أكثر من ذلك كان واحدًا " [٧]

وقدر الزمخشري مضافاً محذوفاً مطابقاً للجمع فقال : " أو على حذف مضاف أي : ذوات القسط " [٨] وأنا مع التخريج الأول حيث

---

(١) ينظر : مشكل مكي : ٨٠ ، الهمع ٢ : ١١٦ ، شرح الرضي ٢ : ٣٠٧ ، ٣٢٣ .

(٢) هو سليمان بن محمد أبو الحسين ولد بمالقة ورحل إلى قرطبة وسمع كتاب سيبويه من الأعلم ت ٥٢٨هـ ، بغية الوعاة ١ : ٦٠٢ .

(٣) ينظر : أبو الحسين ابن الطراوة للدكتور محمد البنا : ٨٦ ، الهمع ٢ : ١١٧ ، الأشموني ٣ : ٦٠ .

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي عالم باللغة من أهم ما له نتائج الفكر . ت ٥٨١هـ ، وفيات الأعيان ١ : ٢٨٠ .

(٥) ينظر : شرح شواهد العيني ٣ : ٦٠ .

(٦) الأنبياء : ٤٧ .

(٧) معاني القرآن ٢ : ٢٠٥ وينظر : شرح المفصل ٣ : ٥٠ ، جامع البيان ١٠ : ٢٦٨ .

(٨) الكشاف ٤ : ١٤٨ .

لا تأويل فيه ولا تقدير وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج ، ثم إن نعت الموازين بالمصدر (القسط) يؤكد عدالة المولى جل وعلا حيث لا يظلم الإنسان مثقال ذرة من خير أو شر ، فالموازين ليست ذوات عدل وإنما هي عين العدل .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ (١)

فقد نعت (بلدة) وهي مؤنث بـ (ميتا) وهي مذكر ، ومثل هذه الآية قوله تعالى : ﴿ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (٣)

وقد جاءت كلمة (بلدة) موصوفة بمؤنث في قوله تعالى : ﴿ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (٤) .

وقد خرج التذكير بالحمل على المعنى ، أي : حمل البلدة على معنى البلد أو المكان (٥) ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾ (٦) وقال : ﴿ وَهَـٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (٧)

٣ ـ قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ (٨)

---

(١) الفرقان : ٤٩ .
(٢) الزخرف : ١١ .
(٣) ق : ١١ .
(٤) سبأ : ١٥ .
(٥) ينظر النسفي ٣ : ١٧٠ .
(٦) البقرة : ١٢٦ .
(٧) التين : ٣ .
(٨) يونس : ٢٢ .

فقد جاءت كلمة (ريح) مرتين في الآية في الأولى موصوفة بالمؤنث (طيبة) ، وفي الثانية موصوفة بالمذكر (عاصف) ، وقد عاد الضمير إليها مرة مذكراً في نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [١] ، ومرة مؤنثا في نحو قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ [٢] .

وقد وجه ذلك على ما يلي :

أولا : أن (الريح) تذكر وتؤنث ، فتذكر بالنظر إلى اللفظ ، وتؤنث بالنظر إلى المعنى يقول الفراء : " والعرب تقول : عاصف وعاصفة " [٣]

قال القرطبي : " وقال أبو بكر الأنباري : سئل المبرد بحضرة إسماعيل القاضي عن ألف مسألة ، هذه من جملتها فقيل له : ما الفرق بين قوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ [٤] و ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [٥] وقوله ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [٦] و ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [٧] فقال : كلما ورد عليك من هذا الباب فإن شئت رددته إلى اللفظ تذكيراً أو إلى المعنى تأنيثا " [٨]

ثانيا : أن في الكلام مضافا محذوفاً ، ذكر هذا النسفي حيث قال : " أي : ذات عصف ، أي : شديدة الهبوب " [٩] .

---

(١) الروم : ٥١ .
(٢) آل عمران : ١١٧ .
(٣) معاني القرآن ١ : ٤٦٠ .
(٤) الأنبياء : ٨١ .
(٥) يونس : ٢٢ .
(٦) الحاقة : ٧ .
(٧) القمر : ٢٠ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن ١٧ : ١٣٧ ، وينظر البرهان ٣ : ٣٦٧ ، ٣٦٨ .
(٩) النسفي ٢ : ١٥٨ .

ثالثا : أن (العصف) وصف خاص بالريح ، وما دام كذلك فلا حاجة إلى التفريق [١] .

٤ ــ قوله تعالى : ﴿ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [٢] .

فقد وصف (قرنا) وهو مفرد بـــ (آخرين) وهو جمع ، وإنما جاز ذلك لأن (قرنا) اسم جمع كرهط وقوم [٣] .

٥ ــ قوله تعالـــى : ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ [٤] .

فـــ (الذي) صفة للعذاب في موضع نصب ، ويجوز أن يكون صفة للنار وذكر على معنى الجحيم أو الحريق [٥] .

قوله تعالى : ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [٦] فالواضح أن (التي) في محل جر صفة للنار ، ويجوز أن يكون المضاف (عذاب) قد اكتسب التأنيث من (النار) فنعت بالمؤنث وعاد الضمير إليه مؤنثاً .

٦ ــ قوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ [٧] .

فـــ الظاهر أن (شتى) وهو جمع شتيت وصف لـــ (النبات) وهو في صورة المفرد .

يقول الزمخشري : " شتى : صفة للأزواج ، جمع شتيت كمريض ومرضى ، ويجوز أن يكون صفة لنبات ، النبات مصدر سمى به

---

(١) ينظر : أبو السعود ٤ : ١٣٤ .
(٢) الأنعام : ٦ .
(٣) ينظر : حاشية الجمل ٢ : ٣٤١ ، دراسات الشيخ عضيمة ٣ : ٣ : ٤١٨ .
(٤) السجدة : ٢٠ .
(٥) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٩٠ ، دراسات الشيخ عضيمة ٣ : ٣ : ٤١٨ .
(٦) سبأ : ٤٢ .
(٧) طه : ٥٣ .

النابت كما سمى بالنبت ، فاستوى فيه الواحد والجمع ، يعني أنها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة والشكل ، بعضها يصلح للناس . وبعضها للبهائم "[١] .

٧ ـ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ ﴾[٢]

فالظاهر أن (هديا) نكرة وهو منعوت بـ (بالغ الكعبة) حيث أضيف (بالغ) إلى (الكعبة) فاكتسب التعريف ، فيكون هناك مخالفة بين النعت ومنعوته .

والحق أن الإضافة هنا من باب الإضافة اللفظية التي لا يكتسب فيها المضاف تعريفًا ولا تخصيصًا ، وإنما يكتسب التخفيف في اللفظ فقط ولذلك جاز وصف النكرة بما أضيف إلى المعرفة ومثل هذه الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾[٣]

فـ (عارضا) منعوت وهو نكرة و (مستقبل أوديتهم) نعت له وهو معرفة لإضافته إلى مضاف إلى معرفة ، و (عارض) نكرة منعوت بـ (ممطرنا) وهو معرفة بإضافته إلى معرفة ، والإضافة ـ هنا ـ أيضا إضافة لفظية .

يقول سيبويه في شأن الإضافة اللفظية : " ليس يغير كف التنوين إذا حذفته مستخفاً شيئاً من المعنى ، ولا يجعله معرفة ، فمن ذلك : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ

---

(١) الكشاف ٤ : ٨٧ ، وينظر دراسات الشيخ عضيمة ٣ : ٣ : ٤١٤ ..
(٢) المائدة : ٩٥ .
(٣) الأحقاف : ٢٤ .

ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [١] ويزيد عندك هذا بيانا قوله تعالى جده : " **هديًا بالغ الكعبة** " و " **عارض ممطرنا** " فلو لم يكن هذا في معنى النكرة والتنوين ، لم توصف به النكرة " [٢] .

ويقول المبرد : " ألا ترى أن الاسم المضاف إلى معرفة على نية التنوين ، لا يكون إلا نكرة ، لأن التنوين في النية نحو قوله عز وجل : **(هذا عارض ممطرنا)** ، **(هديا بالغ الكعبة)** وهو وصف للنكرة " [٣] .

وأما النعت السببي :

فهو ما يفيد معنى في شيء متعلق بالمنعوت مرفوع به ، ويطابق منعوته في اثنين من خمسة : واحدٍ من الإعراب ، وواحد من التعريف والتنكير ، وأما الخمسة الباقية ، وهي : التذكير والتأنيث ، والإفراد ، والتثنية ، والجمع ، فحكمه فيها حكم الفعل إذا رفع اسمًا ظاهرًا : فإن أسند إلى مؤنث أنث ، وإن كان المنعوت مذكرا ، وإن أسند إلى مذكر ذكر وإن كان المنعوت مؤنثا ، وإن أسند إلى مفرد ، أو مثنى ، أو مجموع أفرد وإن كان المنعوت بخلاف ذلك [٤] .

فيقال على ذلك : سلمت على رجلٍ كريم أبوه ، وعلى رجلين كريم أبواهما ، وعلى رجالٍ كريم آباؤهم ، بإفراد النعت كما يفرد الفعل .

والأمر كذلك في التذكير والتأنيث ، فإن كان المرفوع مذكرًا ذكر النعت من أجله ، وإن كان مؤنثا حقيقيا غير مفصول عن عامله ، أنث

---

(١) آل عمران : ١٨٥ .
(٢) الكتاب ١ : ١٦٦ .
(٣) المقتضب ٣ : ٢٢٧ .
(٤) شرح ابن عقيل ٢ : ١٨٠ ، ١٨١ ، وينظر : شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٠٧ ـ ٣٠٩ ، شرح الأشموني ٣ : ٦١ ، شرح التصريح ٢ : ١١٠ .

لأجله ، وإن كان مرفوعه مؤنثا غير حقيقي ، أو كان حقيقياً مفصولاً بينه وبين عامله بفاصل جاز فيه الأمران التذكير والتأنيث .

يقول إمام النحاة سيبويه : " هذا باب ما جرى من الصفات غير العمل على الاسم الأول إذا كان لشيء من سببه ، وذلك قولك : مررت برجل حسنٍ أبوه ، وإنما أجريت هذه الصفات على الأول حتى صارت كأنها له ؛ لأنك قد تضعها في موضع اسمه ، فيكون منصوبًا ومجرورًا ومرفوعًا والنعت لغيره ، وذلك قولك : مررت بالكريم أبوه ، ولقيت موسعًا عليه الدنيا ، وأتاني الحسنة أخلاقه ، فالذي أتاك والذي أتيت غير صاحب الصفة ، وقد وقع موقع اسمه ، وعمل فيه ما كان عاملاً فيه ، وكأنك قلت : مررت بالكريم ، ولقيت موسعًا عليه ، وأتاني الحسن ، فكما جرى مجرى اسمه ، جرى مجرى صفته "[1] .

ومن شواهد مجئ النعت السببي في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾[2] فـ (فاقع) نعت لـ (صفراء) وقد تمت المطابقة بينهما في الإعراب : فكلاهما مرفوع ، والتنكير : فكلاهما نكرة .

وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾[3] فـ (الظالم) نعت لـ (القرية) وتمت المطابقة بينهما في الإعراب فكلاهما مجرور ، والتعريف فكلاها معرفة .

---

(١) الكتاب ٢ : ٢٢ ، وينظر : المقتضب ٤ : ١٥٥ ، وابن يعيش ٣ : ٥٥ .
(٢) البقرة : ٦٩ .
(٣) النساء : ٧٥ .

ثانيا : المطابقة في عطف البيان :

عطف البيان هو : التابع الجامد المشبه للصفة في إيضاح متبوعه وعدم استقلاله [١] .

والفرق بينه وبين النعت أنه يكشف المتبوع بنفسه ، لا بمعنى في المتبوع ، ولا في سببه [٢] .

ويشبه النعت في أمر المطابقة ، فتجب المطابقة بينه وبين متبوعه إعرابًا ، وتذكيرًا وتأنيثا ، وتعريفًا وتنكيرًا ، وإفرادًا وتثنية وجمعًا ، كما هو الحال بين النعت ومنعوته .

يقول ابن هشام : " وحكم المعطوف أنه يتبع المعطوف عليه في أربعة من عشرة ، وهي واحد" من الرفع والنصب والجر ، وواحد من التعريف والتنكير ، وواحد من الإفراد والتثنية والجمع ، وواحد من التذكير والتأنيث" [٣] .

ومن شواهد عطف البيان في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ **مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ** ﴾ [٤] فـ (إبراهيم) عطف بيان لـ (أبيكم) طابقة في الجر ، والإفراد ، والتذكير ، والتعريف .

وقوله تعالى : ﴿ **وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ** ﴾ [٥] فـ (صديد) عطف بيان لـ (ماء) طابقة ، إفرادًا ، وتذكيرًا ، وتنكيرًا ، وجرًا .

وقد أجاز الكوفيون وجماعة منهم الفارسي وابن جني والزمخشري وابن عصفور وغيرهم مجئ عطف البيان نكرة مستشهدين بالآية السابقة

---

(١) شرح ابن عقيل ٢ : ٢٠١ .
(٢) حاشية الصبان ٣ : ٨٦ .
(٣) شرح الشذور : ٤٣٦ .
(٤) الحج : ٧٨ .
(٥) إبراهيم : ١٦ .

وغيرها .

بينما ذهب البصريون إلى منع ذلك ، وقالوا إن عطف البيان لا يكون في النكرات محتجين على ذلك بأن النكرة مجهولة ، والمقصود بعطف البيان الكشف والإيضاح وذلك لا يحصل بالمجهول ، إذ لا يوضح المجهول مجهولاً مثله ويعربون ما جاء في الآية الكريمة السابقة وأمثالها بدلاً مطابقًا .

يقول الصبان : " ويخصون عطف البيان بالمعارف ، احتجوا بأن البيان بيان كاسمه ، والنكرة مجهولة ، والمجهول لا يبين المجهول ، ورد بأن بعض النكرات أخص من بعض ، والأخص يبين الأعم " [١] .

وقد ذهب الزمخشري إلى جواز مجئ عطف البيان معرفة والمتبوع نكرة مستشهدًا على هذا بقوله تعالى: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [٢] حيث أعرب (مقام إبراهيم) عطف بيان لـ (الآيات) [٣] .

يقول الأشموني : " وأما قول الزمخشري : إن (مقام إبراهيم) عطف بيان على (آيات بينات) فمخالف لإجماعهم " [٤] .

وقد اختلف البيان والمبين ـ هنا ـ من ثلاثة أوجه : فـ (مقام إبراهيم) مفرد مذكر معرفة ، و (آيات) جمع مؤنث نكرة [٥] .

ولا يجوز أن يكون بدلاً لتصريحهم بأن المبدل منه إذا تعدد وكان البدل غير وافٍ بالعدة تعين القطع فخرج عن البدلية ، فالوجه أنه مبتدأ حذف خبره أي : منها مقام إبراهيم [٦] .

---

(١) حاشية الصبان ٣ : ٨٦ ، وينظر : حاشية الأمير ٢ : ١٣٩ ، ابن يعيش ٣ : ٧٢ .
(٢) آل عمران : ٩٧ .
(٣) الكشاف : ١ : ٥٨٨ .
(٤) الأشموني ٣ : ٨٦ .
(٥) ينظر : حاشية الصبان ٣ : ٨٦ .
(٦) المصدر السابق : الجزء نفسه والصفحة نفسها .

ثالثا : المطابقة في عطف النسق :

عطف النسق هو : التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف [١] .

وهذا النوع من التوابع لا يشترط فيه المطابقة إلا في الإعراب ــ فقط ــ بين المعطوف والمعطوف عليه .

يقول المبرد : " اعلم أنك لا تعطف اسمًا على اسم ، ولا فعل على فعل في موضع من العربية إلا كان مثله ، تقول : مررت بزيد وعمرو ، ورأيت زيدًا وعمرًا ، وأنا آتيك وأكرمُك ، ولا تذهب ولا تندم ولم يرد الجواب " [٢]

ويعلل ابن يعيش لهذا الأمر فيقول : " وإنما كان هذا الضرب من التوابع لا يتبع إلا بتوسط حرف ؛ من قبل أن الثاني فيه غير الأول ، فلم يتصل إلا بحرف ، إذ كان يأتي بعد أن يستوفى العامل عمله ، وهو غير الأول ، فلم يتصل إلا بحرف " [٣] .

هذا ولم يرد في القرآن الكريم ــ قط ــ مخالفة بين المعطوف والمعطوف عليه في هذا الباب ، إلا ما ورد ما ظاهره ذلك لغرض معنوي مقصود يقتضيه المقام والسياق ، مثل كلمة (الصابرين) التي جاءت بالياء معطوفة على (الموفون) في قول الله جل وعلا : ﴿ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ**

---

(١) ابن عقيل ٢ : ٢٠٦ .
(٢) المقتضب ٤ : ٣٨٧ .
(٣) ابن يعيش ٣ : ٧٤ .

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [١] .

فقد جاء في الظاهر عطف (الصابرين) بالياء ، على (الموفون) بالواو وللعلماء في هذا توجيهان :

أولها : أن (الصابرين) منصوب على المدح بتقدير (أعنى) أو (أمدح)[٢]

والثاني : أنه معطوف على (ذوى القربى) أي : وآتى المال ذوى القربى والصابرين [٣] .

وقد رد العكبري هذا الوجه حيث قال : " ولا يجوز أن يكون معطوفاً على (ذوى القربى) لئلا يفصل بين المعطوف والمعطوف عليه الذي هو في حكم الصلة بالأجنبي وهم (الموفون) " [٤] .

ويعلل الفرّاء لنصب (الصابرين) فيقول : ونصبت (الصابرين) لأنها من صفة (من) ، وإنما نصبت لأنها من صفة اسم واحد ، فكأنه ذهب به إلى المدح ، والعرب تعترض من صفات الواحد إذا تطاولت بالمدح أو الذم ، فيرفعون إذا كان الاسم رفعاً ، وينصبون بعض المدح ، فكأنهم ينوون إخراج المنصوب بمدح مجرد غير متبع لأول الكلام من ذلك قول الشاعر[٥] :

لا يبعدن قومي الذين هـــم ... سم العداة وآفة الجـــزر

النازلين بكل معتـــــرك ... والطيبين معاقـــد الأزر

---

(١) البقرة : ١٧٧ .
(٢) معاني الفراء ١ : ١٠٥ ، مشكل إعراب القرآن لمكي : ٩٣ ، البيان ١ : ١٤٠ .
(٣) مشكل مكي : ٩٣ ، البيان ١ : ١٤٠ .
(٤) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٧٨ .
(٥) هي الخرنق ترثي زوجها ومن قتل معه ، والبيتان من الكامل ، ينظر : سيبويه ١ : ١٠٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، معاني الفراء ١ : ١٠٥ ، الجمل للزجاجي ١٥ ، أمالي ابن الشجري ٢ : ١٠٢ ، الأصول ٢ : ٤٠ .

وربما رفعوا (النازلون) و (الطيبون) وربما نصبوهما على المدح ، والرفع على أن يتبع آخر الكلام أوله " [١] .

ويقول الزمخشري : " وأخرج (الصابرين) منصوبًا على الاختصاص والمدح إظهاراً لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال " [٢] .

وقوله تبارك تعالى : ﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَـئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٣]

فقد وقعت كلمة (المقيمين) بالياء بين مرفوعين وللعلماء في هذا توجيهات [٤] :

أولها : أن (المقيمين) منصوبة على المدح ، والتقدير : وأعنى (المقيمين) وهو مذهب البصريين .

والثاني : أنه مجرور عطفا على (ما) في (بما) أي : يؤمنون بما أنزل وبالمقيمين ، والمراد بهم الملائكة أو الأنبياء ، وقيل التقدير : وبدين المقيمين فيكون المراد بهم المسلمين .

والثالث : أنه معطوف على (قبل) أي : يؤمنون بما أنزل من قبلك ومن قبل المقيمين ، فحذف (قبل) فأقيم المضاف إليه مقامه .

والرابع : أنه معطوف على (الكاف) في (قبلك) .

والخامس : أنه معطوف على الكاف في (إليك) .

---

(١) معاني القرآن ١ : ١٠٥ .
(٢) الكشاف ١ : ٣٧٧ .
(٣) النساء : ١٦٢ .
(٤) تنظر هذه التوجيهات في : الكتاب ١ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩ ـ مشكل مكي : ١٩٣ ، البيان لابن الأنباري ١ : ٢٧٥ . إملاء ما من به الرحمن ١ : ٢٠٢ ، النسفي ١ : ٢٦٣ .

والسادس : أنه معطوف على الضمير المجرور في (منهم) . وهذه الأوجه الثلاثة الأخيرة خطأ عند البصريين لأن فيها عطف الظاهر على المضمر المجرور من غير إعادة الجار .

إلاّ أن الوجه الأول وهو النصب على المدح هو الأولى بالقبول ، لأن الله جل وعلا أراد تمييز هؤلاء الناس (المقيمين الصلاة) وبيان فضلهم ، كما أنه ــ جل وعلا ــ أراد بيان فضل إقامة الصلاة بمدحهم إذ هي الولاء الدائم لله جل وعلا ، فتغير الإعراب تبعًا لتغير المعنى المراد .

وقراءة الياء (والمقيمين) هي قراءة الجمهور وقد قرئ (والمقيمون) بالواو [١] وعليه فلا مخالفة .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [٢] .

فقد عطفت كلمة (الصائبون) بالواو رفعًا على ما قبلها وهو في محل النصب ، وهذا ظاهره المخالفة بين المعطوف والمعطوف عليه ، وللعلماء في هذا العطف توجيهات :

أولها : وهو قول سيبويه [٣] أن النية به التأخير بعد خبر (إن) والتقدير : ولاهم يحزنون ، والصائبون كذلك ، فهو مبتدأ والخبر محذوف ، ومثل هذا وارد في الشعر العربي الفصيح كما في قوله [٤] :

---

(١) هي قراءة : مالك بن دينار وعيسى الثقفي وعاصم الجحدري . ينظر : المحتسب ١ : ٢٠٣ ، النسفي ٢ : ٢٦٣ .

(٢) المائدة : ٦٩ .

(٣) الكتاب ١ : ٢٩ وينظر : مشكل مكي : ٢١٣ ، البيان ١ : ٣٠١ ، الجمل على الجلالين ١ : ٥١١ ، البيضاوي ٢ : ١٠٧ ، شرح التصريح ١ : ٢٢٨ .

(٤) هو ضابئ بن الحارث البرجمي والبيت من الطويل ، قاله وهو محبوس في المدينة في زمن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وقيار : اسم جمله وقيل : اسم فرسه ، وقيل =

فمن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريـــب

أي : فإني لغريب ، وقيار بها كذلك .

الثاني : أنه معطوف على محل (إن) نحو : إن زيدًا وعمرو قائمان ــ وهو وجه ذكره مكي [١] وخطأه العكبري حيث قال : " وهذا خطأ لأن خبر (إن) لم يتم ، و (قائمان) إن جعلته خبر (إن) لم يبق لـ (عمرو) خبر ، وإن جعلته خبر (عمرو) لم يبق لـ (إن) خبر ، ثم هو ممتنع من جهة المعنى ؛ لأنك تخبر بالمثنى عن المفرد ، فأما قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ** ﴾ [٢] على قراءة من رفع (الملائكة) [٣] فخبر (إن) محذوف تقديره : إن الله يصلي ، وأغنى عنه خبر الثاني ، وكذلك لو قلت : إن عمرًا وزيد قائم ، فرفعت (زيدا) جاز على أن يكون مبتدأ و (قائم) خبره ، أو خبر إن " [٤] .

الثالث : أن (الصائبون) معطوف على الضمير في (هادوا) ، وهذا الوجه نقله الفراء عن الكسائي [٥] وهذا ممتنع لوجهين :

١ ــ أن هذا الوجه يوجب أن يكون الصائبون والنصارى يهودًا والأمر ليس كذلك .

٢ ــ أن يكون (الصائبون) معطوفاً على الضمير المرفوع قبل أن يؤكد أو يفصل بينهما [٦] .

(=) : اسم رجل ، والمعنى : إذا كان كل واحد من الناس أمسى بين خلانه فإني غريب في بلدناءٍ عن الأهل ، ينظر : ابن عقيل ١ : ٣٥٩ .

(١) المشكل : ٢١٢ .

(٢) الأحزاب : ٥٦ .

(٣) قرأ الجمهور (وملائكته) بالنصب ، وقرأ ابن عباس وعبد الوارث عن أبي عمرو بالرفع . ينظر الدر المصون ٩ : ١٤١ .

(٤) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٢٢٢ .

(٥) معاني القرآن للفراء ١ : ٣١٢ .

(٦) مشكل مكي : ٢١٣ ، إملاء ما من به الرحمن ١ : ٢٢٢ .

ومن المعلوم نحويًا أنه لا يحسن العطف على الضمير المتصل الواقع في محل الرفع مستتراً كان أو بارزاً إلا بعد توكيده بضمير منفصل نحو قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] وقد يكون الفصل بغير الضمير كما في قوله تعالى : ﴿ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا ﴾ [٣] حيث فصل (لا) بين الضمير المرفوع والاسم الظاهر المعطوف عليه .

الرابع : أن يكون خبر (الصائبون) محذوفًا من غير أن يكون منويًا تأخيره ، وهو ضعيف ــ أيضا ــ لما فيه من الحذف والفصل [٤] .

الخامس : أن (إنَّ) حرف جواب بمعنى (نعم) ، فما بعدها في موضع رفع ، والمعنى : نعم الذين آمنوا والذين هادوا ... [٥] واستدلوا على ذلك بقول ابن الزبير رضي الله عنه لمن قال له لعن الله ناقة حملتني إليك : إن وراكبها ، أي : نعم ولعن راكبها [٦] .

السادس : أن (الصائبون) في موضع نصب ، ولكنه جاء على لغة بلحرث الذين يجعلون التثنية بالألف على كل حال . والجمع بالواو على كل حال ، وهذا الوجه استبعده العكبري حيث قال : " وهو بعيد " [٧] وذكر ابن الأنباري أن هذه اللغة محكية عنهم في المثنى ، ولم تحك عنهم في الجمع[٨] .

---

(١) البقرة : ٣٥ .
(٢) الأنبياء : ٥٤ .
(٣) الأنعام : ١٤٨ .
(٤) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٢٢٢ .
(٥) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٢٢٢ .
(٦) ينظر مغني اللبيب ١ : ٣٦ .
(٧) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٢٢٢ .
(٨) البيان ١ : ٣٠١ .

والسابع : أن يجعل النون حرف الإعراب أي : هو الذي يتحمل حركات الإعراب رفعًا ونصبًا وجرًا ، وقال العكبري عن هذا الوجه : (القياس لا يدفعه) وكأنه ارتضاه .

ولكن ما أميل إليه وأرجحه ما ذهب إليه سيبويه والبصريون من أن عطف (الصائبون) جاء بعد تمام الكلام وانقضاء اسم (إن) وخبرها ، فهو مبتدأ والخبر محذوف .

والتقدير : والصائبون كذلك ، إذ إن المعنى على هذا الوجه واضح ، وهو وارد في الشعر العربيِّ الفصيح كثيرًا ، ومنه البيت السابق ، وقول الشاعر[١]:

غداة أحلَّت لابن أصرم طعنة" حُصينٍ عبيطات السدائف والخمرُ

حيث رفع الخمر على الاستئناف فكأنه قال : والخمر كذلك .

والذي يؤيد هذا الاختيار أن الله تعالى يقبل توبة الصابئين الذين هم عبدة الملائكة والكواكب فمن باب أولى أنه جل وعلا يقبل توبة المنافقين واليهود والنصارى .

وفي هذا يقول الإمام النسفي : " وفائدة التقديم التنبيه على أن الصائبين وهم أبين هؤلاء المعدودين ضلالاً وأشدهم غيا يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان فما الظن بغيرهم "[٢] .

ويقول فضيلة الشيخ الشعراوي رحمه الله : " وكسر القاعدة هنا بالرفع لنعرف ولنلتفت إلى أنهم كانوا قومًا أشد في الضلالة إذ إنهم كانوا يعبدون

---

(١) هو الفرزدق ، والبيت من الطويل ، وعبيطات جمع عبيطة وهي قطعة اللحم غير الناضجة ، والسدائف ، جمع سديف ، وهو السنام ، والمعنى : كان حصين هذا قد حرّم على نفسه أكل اللحم أو شرب الخمر حتى يأخذ بثأر لولي له ، وتم له ذلك فحل له ذلك . ينظر الشاهد ، الإنصاف ١ : ١٨٧ ، البيان ١ : ٣٠٠ ، أوضح المسالك ٢ : ٩٦ .

(٢) تفسير النسفي ١ : ٢٩٤ .

الكواكب والملائكة وهذا لون من الضلال بعيد جداً فهم خرجوا عن دائرة التسليم بوجود إله ، وجاء بهم الحق تبارك وتعالى متقدمين على النصارى احتراسًا وتوقيا من مظنة أنه لا يعفو عنهم إن آمنوا وعملوا الصالحات" [١]

والذي يؤيد هذا الاختيار : أن (الصائبون) جاءت بالواو مخالفة للتنبيه على أن الله تبارك وتعالى يقبل توبة المنافقين المعنيين بقوله تعالى : (إن الذين آمنوا) أي : آمنوا بألسنتهم فقط ، واليهود ، والنصارى .

رابعًا : المطابقة في باب التوكيد :

التوكيد : هو تابع يزيد احتمال الشك عن متبوعه ، ويفيد التثبيت والتقوية ، وينقسم إلى قسمين : معنوي ، ولفظي .

فالمعنوي : يكون بألفاظ مخصوصة : النفس والعين ، وكلا وكلتا ، وكل وجميع وعامة [٢] .

فأما التوكيد بالنفس والعين ، فيكون لرفع توهم مضاف إلى المؤكد[٣] ، ومعنى ذلك : أنني إذا قلت : جاء القائد ، يتوهم أن يكون الذي جاء مساعده أو نائبه ، أو رسالته ، فإذا قلت : جاء القائد نفسه أو عينه ، ارتفع ذلك التوهم .

وهذان اللفظان مطابقان المؤكدَ إعرابًا ، جاء محمدٌ نفسُه أو عينُه ، وأكرمت محمدًا نفسَه أو عينَه ، وسلمت على محمدٍ نفسِه أو عينِه .

وأما في التعريف والتنكير :

فلا يؤكد بالتوكيد المعنوي إلا المعرفة على الصحيح ، لأن هذه الألفاظ كلها معارف بإضافتها إلى الضمير .

---

(١) تفسير الشعراوي ٦ : ٣٢٩٧ ـ ٣٢٩٨ بتصرف .
(٢) ينظر : شرح الرضي على الكافية ٢ : ٣٦٣ ، ابن يعيش ٣ : ٤٠ ، شرح التصريح ٢ : ١٢٠ ، الأشموني ٣ : ٧٣ ـ ٧٥ .
(٣) حاشية يس ٢ : ١٢٠ .

يقول ابن يعيش : " وإنما لم تؤكد النكرات بالتوكيد المعنوي ؛ لأن النكرة لم يثبت لها حقيقة ، والتأكيد المعنوي إنما هو لتمكين معنى الاسم وتقرير حقيقته وتمكين ما لم يثبت في النفس محال " [١] وهذا رأي البصريين .

وأما الكوفيون والأخفش فإنهم يجيزون توكيد النكرة توكيداً معنويًا بشرط أن تكون محدودة كالشهر واليوم والليلة وسائر الألفاظ الدالة على مدة محدودة .

يقول أبو حيان : " ولا يجوز عند البصريين أن تؤكد النكرة بشيء من ألفاظ التوكيد ، وأجاز ذلك بعض الكوفيين مطلقًا ، سواء كانت مؤقتة أو غير مؤقتة واختاره ابن مالك فأجاز:صمت شهراً كله ، وهذا أسد" نفسه"[٢]

ولابد من إضافتهما إلى ضمير يطابق المؤكد ، وإن كان المؤكد بهما مثنى أو مجموعًا جُمعا على (أفْعُل) فيقال : جاء المحمدان أنفسهما ، أو أعينهما ، والهندان أنفسهما أو أعينهما ، والمحمدون أنفسهم أو أعينهم ، والهندات أنفسهن أو أعينهن [٣] ويجوز في غير الأفصح نفسهما وعينهما ، بالإفراد ونفساهما وعيناهما بالتثنية [٤] .

هذا ولم يرد التأكيد بالنفس أو بالعين في القرآن الكريم ، إلا ما ذكره أبو حيان عند قوله تعالى:﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوَءٍ ﴾ [٥] حيث جوّز أن تكون الباء في (بأنفسهن) زائدة للتأكيد وهو مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة ، حيث يقول : " و (بأنفسهن) متعلق بـــ (يتربصن)

---

(١) ابن يعيش ٣ : ٤٤ .
(٢) ارتشاف الضرب ٢ : ٢١٢ ـ ٢١٣ وينظر : شرح ابن عقيل ٢ : ١٩٥ .
(٣) ينظر : شرح ابن عقيل ٢ : ١٩٢ ، شرح الأشموني ٣ : ٧٣ ـ ٧٤ .
(٤) شرح التصريح ٢ : ١٢١ .
(٥) البقرة : ٢٢٨ .

وظاهر الباء أنها للسبب أي : من أجل أنفسهن ، ويجوز ـ هنا ـ أن تكون زائدة للتوكيد ، والمعنى : يتربصن أنفسهن ، كما تقول : جاء زيد بنفسه ، وجاء زيد بعينه ، أي : نفسه وعينه "[١]

وأما التوكيد بـ (كلا ، وكلتا ، وكل ، وجميع ، وعامة) فيكون لرفع توهم عدم إرادة الشمول [٢] .

فيؤكد بـ (كلا) المثنى المذكر ، وبـ (كلتا) المثنى المؤنث وبـ (كل) و (جميع) و (عامة) ما كان ذا أجزاء يصح وقوع بعضها موقعه [٣] .

وهذه الألفاظ جميعها تطابق متبوعها إعرابًا ، ولابد من اشتمالها على ضمير يطابق المؤكد إفرادًا ، وتثنيه وجمعًا ، تذكيرًا وتأنيثًا .

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ [٤]

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ [٥]

وقال تعالى : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [٦]

فأكد أولا بـ (كلهم) ، ثم جاء لفظ (أجمعون) بعد (كلهم) تقوية للتوكيد .

وجاء التوكيد بـ (أجمعون) فقط من غير أن يكون مسبوقا بـ (كل) في نحو قوله تعالى : ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ [٧] ونحو قوله تعالى : ﴿ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٨] .

---

(١) البحر المحيط ٢ : ١٩٦ .
(٢) شرح ابن عقيل ٢ : ١٩٢ .
(٣) المصدر السابق : الجزء نفسه والصفحة نفسها .
(٤) هود : ١٢٣ .
(٥) يس : ٣٦ .
(٦) الحجر : ٣٠ .
(٧) الشعراء : ٩٤ ـ ٩٥ .
(٨) الأنعام : ١٤٩ .

وأما التوكيد اللفظي :

فهو إعادة لفظ المؤكد بعينه لتقوية معناه ، سواء كان اسمًا أو فعلاً أو حرفاً .

فالاسم نحو قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا** ﴾ [١] وإن كان بعضهم منع أن تكون الآيتان من باب التوكيد اللفظي لأن الدك الأول غير الثاني والمعنى : دكا حاصلاً بعد دك وذهب هؤلاء إلى أن اللفظين معًا حال وهو مؤول بنحو : مكرر دكها ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ [٢] فهو كقولهم : جاءوا رجلا رجلاً وعلمته الحساب بابًا باباً [٣] .

والفعل نحو قوله تعالى : ﴿ **يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ * يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ** ﴾ [٤] يقول الزمخشري : " أو كرر (يدعو) كأنه قال : يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه " [٥] .

والحرف نحو قوله تعالى : ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا** ﴾ [٦] .

وقد أكدت الجملة في القرآن الكريم بطريقتين :

الأولى : بحرف العطف (ثم) في نحو قوله تعالى : ﴿ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ** ﴾ [٧] .

---

(١) الفجر : ٢١ .
(٢) الفجر : ٢٢ .
(٣) ينظر : هامش (١) على شرح ابن عقيل تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد ٢ : ١٩٨ .
(٤) الحج : ١٢ ـ ١٣ .
(٥) الكشاف ٤ : ١٨٠ .
(٦) هود : ١٠٨ .
(٧) التكاثر : ٣ ـ ٤ .

والثانية : من غير حرف العطف كما في قوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا** ﴾ [١] .

خامسًا : المطابقة في باب البدل :

عرف النحاة البدل بأنه : التابع المقصود بالحكم المنسوب إلى متبوعه نفيًا أو إثباتًا بلا واسطة [٢] .

أو بأنه : تابع مقصود بالذكر ، وذكر المتبوع قبله للتوطئة والتمهيد [٣]

والبدل في اللسان العربي على أربعة أنواع :

الأول : بدل كل من كل ، وهو بدل الشيء مما يطابق معناه نحو قوله تعالى : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ** ﴾ [٤]

وسماه ابن مالك : البدل المطابق لوقوعه في اسم الله تعالى نحـــو : ﴿ **إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ** ﴾ [٥] فهو يطلق على كل ذي أجزاء وذلك ممتنع هنا [٦] .

والثاني : بدل بعض من كل ، وهو ما يكون البدل فيه جزءاً من المبدل منه سواء كان ذلك الجزء قليلاً أو مساوياً أو أكثر ، نحو : قرأت الكتاب نصفه ، أو ثلثه ، أو ثلثيه .

والثالث : بدل الاشتمال ، وهو بدل شيء من شيء يشتمل عامله على معناه بطريق الإجمال ، نحو : أعجبني زيد" علمه ، أو حسنه ، أو كلامه[٧] .

---

(١) الشرح : ٥ ـ ٦ .
(٢) ينظر : شرح التصريح ٢ : ١٥٥ .
(٣) ينظر : الإيضاح في شرح المفصل ١ : ٤٤٩ ، شرح الكافية للرضي ٢ : ٣٧٩ .
(٤) الفاتحة : ٦ ـ ٧ .
(٥) إبراهيم : ١ ـ ٢ .
(٦) الأشموني ٣ : ١٢٤ .
(٧) الأشموني ٣ : ١٢٥ .

والرابع : البدل المباين ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام :

أ ــ بدل الغلط : وهو ما يكون ذكر المبدل منه فيه غلطاً باللسان فاستدرك المتكلم بذكر البدل فالمتكلم ــ هنا ــ لم يقصد الأول .

ب ــ بدل النسيان : وهو أن يقصد المتكلم المبدل منه فعلاً ثم تبين فساد هذا القصد فيعدل عن المبدل منه إلى البدل .

جـ ــ بدل الإضراب ، وهو أن يكون المبدل منه والمبدل قصد ذكرهما ، وبعد ذلك ظهر للمتكلم أن يتركه ويقصد الثاني ، فيكون الثاني هو المقصود .

ويمكن أن يمثل للبدل المباين بأقسامه بمثال واحد ، نحو : نجح محمد" علىّ" ، فإذا كان قصد المتكلم الأول ثم بداله أن يتركه ويقصد الثاني فهو بدل الإضراب وإن لم يقصده أصلاً فهو بدل الغلط ، وإذا كان قصد الأول ثم تبين له فساد قصده نسياناً فعدل إلى الثاني فهو بدل النسيان .

وهذا النوع من البدل لم يرد في القرآن الكريم مطلقاً .

والمطابقة في الإعراب تكون في أنواع البدل الثلاثة الأولى : المطابق ، وبدل الجزء من الكل ، وبدل الاشتمال .

قال تعالى : ﴿ **اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ** ﴾ [1] هذا في البدل المطابق (الكل من كل) فـ (صراط) بدل من (الصراط) وهما منصوبان .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا** ﴾ [2] فـ (نصفه) بدل من (الليل) وهما منصوبان وهو بدل وجزء من كل .

---

(١) الفاتحة : ٦ ـ ٧ .

(٢) المزمل : ١ ـ ٣ .

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ [١] فـ (قتالٍ) بدل اشتمال من (الشهرِ) وهو مجرور مثله .

وأما المطابقة في الإفراد والتذكير وأضدادهما فإنها لازمة في البدل المطابق فقط ، وفي هذا يقول الأشموني : " وأما الإفراد والتذكير وأضدادهما ، فإن كان بدل كل من كل وافق متبوعه فيها ما لم يمنع مانع من التثنية والجمع ، ككون أحدهما مصدراً ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ [٢] ، أو قصد التفضيل كقوله [٣] :

وكنتُ كذى رجلين رجلِ صحيحة ورجلٍ رمى فيها الزمان فَشَلَّتِ

وإن كان غيره من أنواع البدل لم يلزم موافقته فيها " [٤] .

وأما المطابقة بين البدل والمبدل منه في التعريف والتنكير فهذا غير لازم ، إذ قد يبدل النكرة من النكرة ، والمعرفة من المعرفة ، والنكرة من المعرفة ، والمعرفة من النكرة ،

فإبدال المعرفة من المعرفة في البدل المطابق نحو قوله تعالى : ﴿ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴾ [٥] وفي بدل البعض من الكل مثل قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [٦] فـ (مَنْ) بدل بعض من (الناس) ، وفي بدل الاشتمال نحو قوله تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ

---

(١) البقرة : ٢١٧ .
(٢) النبأ : ٣١ ـ ٣٢ .
(٣) هو كثير عزة ، والبيت من الطويل والشاهد أنه أبدل (رجل صحيحة) من (رجلين) وعطف عليها الثانية لأن المبدل منه مثنى فوجب أن يؤتى باسمين ، وهذا يسمى بدل المفصل من المجمل . ينظر : شرح شواهد العيني على الأشموني ٣ : ١٢٨ ، الكتاب ١ : ٤٣٢ ، شرح المفصل ٣ : ٦٨ ـ ٦٩ .
(٤) الأشموني ٣ : ١٢٨ .
(٥) هود : ٦٠ .
(٦) آل عمران : ٩٧ .

﴿ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ [١] فـ (النار) بدل اشتمال من (أصحاب الأخدود) بدل اشتمال .

وإبدال النكرة من النكرة في البدل المطابق نحو قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴾ [٢] ولم يرد في القرآن الكريم إبدال النكرة من النكرة إلا في البدل المطابق فقط [٣] لم يرد في بدل البعض من الكل ولا في بدل الاشتمال .

وإبدال النكرة من المعرفة نحو قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ [٤] فـ (رسول) بدل من (البينة) .

وفي قوله تعالى : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [٥] ما يوحي بأن هناك مخالفة بين البدل (مقام) وهو مفرد والمبدل منه (آيات) وهو جمع .

وإنما أبدل المفرد من الجمع لأنه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه ، وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ، وبنوة إبراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في حجر صلد ، أو لاشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية ، وغوصه فيها على الكعبين آية ، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية ، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لإبراهيم خاصة [٦]

وبعضهم أعرب (مقام) مبتدأ والخبر محذوف والتقدير : منها مقام إبراهيم [٧] .

---

(١) البروج : ٥ ، ٥ .
(٢) النحل : ٧٥ .
(٣) ينظر : دراسات الشيخ عضيمة ١١ : ٤٨ ـ ٥٠ .
(٤) البينة : ١ ، ٢ .
(٥) آل عمران : ٩٧ .
(٦) ينظر : النسفي ١ : ١٧١ ، الكشاف ١ : ٥٨٨ .
(٧) إملاء ما من به الرحمن ١ : ١٤٤ ، حاشية الجمل ١ : ٢٩٧ .

المبحث الخامس

المطابقة في باب

(أفعل التفضيل)

عرّف النحاة اسم التفضيل بقولهم : هو الوصف المبني على (أفعل) لزيادة صاحبه على غيره في أصل الفعل [١] نحو : أكرم ، وأحسن ، وأشرف .

ولاسم التفضيل ثلاث حالات :

إحداها : أن يكون مجردًا من (أل) والإضافة ، ويجب له ــ حينئذٍ ــ حكمان :

أحدهما : الإفراد والتذكير دائما ولو أسند إلى مؤنث أو مثنى أو مجموع . فيقال : زيد أفضل من عمرو ، وهند أفضل من عمرو ، والزيدان أفضل من عمرو ، والهندان أفضل من عمرو ، والزيدون أفضل من عمرو ، والهندات أفضل من عمرو [٢] ، ويعلل ابن يعيش لهذا الحكم التزام (أفعل) التفضيل الإفراد والتذكير في هذه الحالة بقوله : " قد تقدم القول أن أفعل منك موضوع للتفضيل ، وهو بمنزلة الفعل إذ كان عبارة عنه ، ودالاً على المصدر والزيادة ، كدلالة الفعل على المصدر والزمان ، فمنع التعريف كما لا يكون الفعل معرفًا ، ومنع التثنية والجمع كما لا يكون الفعل مثنى ولا مجموعًا ، وكذلك لا يجوز تأنيثه ــ إنما تقول : هند أفضل منك ، من غير تأنيث ، وذلك لأن التقدير : هند

---

(١) شرح التصريح ١ : ١٠٠ .
(2) المصدر السابق ١ : ١٠٢ .

والمصدر ، وكل واحد من الفعل والمصدر مذكر لا طريق إلى تأنيثه »[١] .

والثاني : أن يؤتى بعده بـ (من) الجارة للمفضول كما تقدم في الأمثلة .

وقد تحذف مع مجرورها للعلم بها كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾[٢] أي : من الحياة الدنيا .

ومن شواهد هذه الحالة في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا ﴾[٣] فقال : (أحب) ولم يقل (أحبان) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ﴾[٤] فقال تعالى (أحب) ولم يقل (أحبون) وقوله تعالى : ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ﴾[٥] وقوله تعالى : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا ﴾[٦] وقوله تعالى : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا ﴾[٧]

وهكذا ... رأينا (أفعل) التفضيل التزم فيه الإفراد والتذكير لأنه مجرد من (أل) والإضافة .

---

(١) شرح المفصل ٦ : ٩٦ .
(٢) الأعلى : ١٧ .
(٣) يوسف : ٨ .
(٤) التوبة : ٢٤ .
(٥) الكهف : ٤٦ .
(٦) المائدة : ١٠٧ .
(٧) الكهف : ٣٤ .

الحالة الثانية : أن يكون (أفعل) مقرونًا بـ (أل) ويجب فيه ـ حينئذ ـ حكمان :

أحدهما : أن يكون مطابقًا لموصوفه إفرادًا وتثنيه وجمعًا ، تذكيرًا وتأنيثًا .

والثاني : ألا يؤتى بعده بـ (من) الجارة للمفضول .

قال تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١) ، ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ﴾ (٢) ، ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ (٣) ، ﴿ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾ (٤) .

ويعلل ابن يعيش ـ أيضا ـ لهذا الحكم بقوله : " فأما إذا دخلت الألف واللام نحو : زيد الأفضل ، خرج عن أن يكون بمعنى الفعل ، وصار بمعنى الفاعل ، واستغنى عن (من والإضافة) وعلم أنه قد بان بالفضل فحينئذٍ يؤنث إذا أريد به المؤنث ، ويثنى ويجمع ، فنقول : زيد الأفضل ، والزيدان الأفضلان ، والزيدون الأفضلون والأفاضل ، وهند الفضلى ، والهندان الفضليان ، والهندات الفضليات والفضل " (٥) .

الحالة الثالثة : أن يكون اسم التفضيل مضافًا .

وإضافته إما إلى نكرة ، وإما إلى معرفة ، فإن أضيف إلى نكرة لزم فيه أمران :

---

(١) الأعلى : ١ .
(٢) الأنفال : ٤٢ .
(٣) آل عمران ١٣٩ .
(٤) طه : ٧٥ .
(٥) شرح المفصل ٦ : ٩٦ .

الإفراد والتذكير ، كما لزما المجرد من (أل) والإضافة وذلك لاستوائهما في التنكير ، ولكونهما على معنى (من) ، فيقال على هذا : محمد أفضل رجل ، والمحمدان أفضل رجلين ، والمحمدون أفضل رجال ، وهند أفضل امرأة ، والهندان أفضل امرأتين ، والهندات أفضل نساء ، يقول ابن هشام : " الثاني : ما يجب فيه أن لا يطابق ، بل يكون مفردًا مذكرًا على كل حال ، وهو نوعان : أحدهما : المجرد من (أل) والإضافة .. والثاني : المضاف إلى نكرة " [١]

ومن شواهد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾ [٢] فقد أضيف (أكثر) إلى (شيء) وهو نكرة والتزم فيه الإفراد والتذكير ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [٣] .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ [٤] وما يوحى ظاهره من عدم المطابقة حيث ورد إفراد (كافر) ومقتضى القاعدة (كافرين) بالجمع ليطابق الواو في (تكونوا) فالتقدير : ولا تكونوا أول فريق كافر به فهو على حذف موصوف مطابق في المعنى : تقديره : فريق ، لأنه جمع في المعنى ، وقد أفرد (كافر) باعتبار اللفظ [٥] .

وأما إن أضيف اسم التفضيل إلى معرفة ، فإما أن يقصد به التفضيل أو لا ، فإن قصد التفضيل جازت المطابقة وعدمها .

---

(١) شرح الشذور : ٤١٦ ـ ٤١٧ بتصرف .
(٢) الكهف : ٥٤ .
(٣) الإسراء : ٢١ .
(٤) البقرة : ٤١ .
(٥) شرح التصريح ١ : ١٠٥ وينظر : إملاء ما من به الرحمن ١ : ٣٤ .

وقد ورد الاستعمالان في القرآن الكريم ، فمن شواهد المطابقة قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا ﴾ [١] فقال تعالى (أكابر) ولم يقل (أكبر) .

ومن شواهد عدم المطابقة قوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ [٢] فقد جاء (أحرص) مضافًا إلى (الناس) غير مطابق ولو كان مطابقًا لقال : (أحرصي) .

وقد اجتمع الاستعمالان : المطابقة وعدمها في قوله ﷺ : " ألا أخبركم بأحبكم إليّ ، وأقربكم مني منازل يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقًا ، الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون " [٣] فقد أفرد (أحب واقرب) ، وجمع (أحسن) لإضافتهن إلى معرفة .

وأما إذا لم يقصد باسم التفضيل المفاضلة ، تعينت المطابقة كما في قولهم : الناقص والأشج أعدلا بني مروان [٤] أي : عادلاهم .

ويعلل ابن يعيش للمطابقة وعدمها عند إضافته اسم التفضيل إلى معرفة فيقول : " وإنما جاز الأمران فيما أضيف ، لأن الإضافة تعاقب الألف واللام ، وتجرى مجراها ، فكما أنك تؤنث وتثنى وتجمع مع الألف واللام ، كذلك تفعل مع الإضافة التي هي بمنزلة ما فيه الألف واللام ، وأما علة الإفراد ، فلأنك إذا أضفته كان بعض ما تضيفه إليه ، تقول : حمارك خير الحمير ، لأن الحمار بعض الحمير ، ولو قلت : حمارك أفضل الناس ، لم

---

(١) البقرة : ٩٦ .
(٢) البقرة : ٩٦ .
(٣) الحديث في سنن الترمذي ٣ : ٢٤٩ .
(٤) الناقص هو يزيد بن الوليد يزيد بن عبد الملك بن مروان لقب بذلك لأنه نقص أرزاق الجند ، والأشج هو عمر بن عبد العزيز لقب بذلك لأنه شج في رأسه وهو صغير . ينظر : شرح التصريح ١ : ١٠٥ .

يجز ؛ لأنه ليس منهم ؛ لأن الغرض تفضيل الشيء على جنسه ، وإذا كان كذلك فهو مضارع للبعض ، الذي يقع للمذكر والمؤنث والتثنية والجمع بلفظ واحد ، فلم يُثَنَّ ولم يجمع ، ولم يؤنث ، كما أن البعض كذلك "[١] .

(١) شرح المفصل ٦ : ٩٦ .

المبحث السادس

المطابقة في باب العدد

يقصد بالمطابقة ــ هنا ــ في باب العدد مطابقة العدد لمعدوده (التمييز) من حيث التذكير والتأنيث ، وللعدد مع معدوده من حيث المطابقة تذكيرًا وتأنيثا أحكام حسب نوع العدد .

أولا : العددان : 1 ، 2

هذان العددان يذكران مع المعدود المذكر ويؤنثان مع المعدود المؤنث ، ولا يجمع بينهما وبين معدودهما لأنهما نفس المعدود ، حيث لا يقال : واحد كتاب ، ولا اثنان كتابان ، ويعربان حسب موقعهما في الجملة ، فمن شواهد لفظ (واحد) ، و (واحدة) قوله تعالى : ﴿ وليعلموا أنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (١) ، ﴿ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ ﴾ (٢) ، ﴿ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ (٤) ، ﴿ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (٥) ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (٦) .

ومن شواهد لفظ (اثنان)،(واثنتان) قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ (٧) ،

---

(١) إبراهيم : ٥٢ .
(٢) القمر : ٢٤ .
(٣) الرعد : ٤ .
(٤) ص : ٢٣ .
(٥) النساء : ١٠٢ .
(٦) النساء : ١ .
(٧) المائدة : ١٠٦ .

﴿ وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [١] ، ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ [٢] ، ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ [٣]

ويعلل ابن يعيش لهذه المطابقة في هذين العددين بقوله : " وأما واحد واثنان ، فقد اعتمد فيهما قاعدة القياس ، فألحقتا علامة التأنيث إذا وقعتا على مؤنث ، وأسقطت مع المذكر ، فتقول : واحد في المذكر ، وواحدة في المؤنث ، واثنان في المذكر واثنتان في المؤنث ، وإن شئت ثنتان ، فمن قال : اثنتان كانت التاء فيه للتأنيث بمنزلة ابنتان ، ومن قال : ثنتان كانت التاء فيه للإلحاق كأنه تثنية : ثنت ، ملحق : بجذع فهو كبنتين ، وإنما كان كذلك ، لأنه ليس أصلهما التأنيث كما في ثلاثة وأربعة ، وذلك لأنه لم يوجد فيهما من قوة التضعيف ما وجد في سائر الأعداد فيحتاج إلى علامة تدل على قوة التضعيف والمبالغة فيه " [٤] .

ثانيا : الأعداد من : ٣ ــ ١٠ (العدد المفرد)

وهذا النوع من العدد يذكر مع المعدود المؤنث ويؤنث مع المعدود المذكر . قال تعالى : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ ﴾ [٥]

وقد علل النحاة لترك التاء مع المعدود المؤنث وإثباتها مع المعدود المذكر مراعاة للأصل ، حيث إنهم يرون أن الأصل في الأعداد من ٣ إلى ١٠ أن تكون بالتاء ، فأعطى هذا الأصل للمذكر ، ثم لما جئ إلى المؤنث كان ترك العلامة له علامة [٦] .

---

(١) النحل : ٥١ .
(٢) التوبة : ٤٠ .
(٣) غافر : ١١ .
(٤) ابن يعيش ٦ : ١٩ .
(٥) الحاقة : ٧ .
(٦) ينظر : ابن يعيش ٦ : ١٩ ، الهمع ٢ : ١٤٩ ، حاشية يس على الفاكهي ٢ : ٢٥٨ ، حاشية الصبان ٤ : ٦١ .

وإذا حذف المعدود جاز تأنيث العدد وتذكيره كما في قوله تعالـــى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (١)

وقال ﷺ : " من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصوم الدهر " (٢)

وقد ذهب الفرّاء إلى أنه إنما قال (عشراً) ولم يقل (عشرة) لأن العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي حتى إنهم ليقولون : صمنا عشرًا من شهر رمضان ؛ لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام (٣)

وذهب المبرد إلى أن المراد عشر مدد كل مدة منها يوم وليلة ، وذهب أبو حيان إلى أنه لا يحتاج إلى تأويل عشر بأنها ليالٍ أو أنها مدد ، وأن الذي عليه أصحابه (يقصد البصريين) أنه إذا كان المعدود مذكرًا وحذف ففي العدد وجهان :

أحدها : وهو الأصل أن يبقى العدد على ما كان عليه لو لم يحذف المعدود فتقول : صمت خمسة ، تريد خمسة أيام وهو الفصيح ، ويجوز أن تحذف منه كله تاء التأنيث (٤) .

وقد نقل الصبان عن السبكي تقييد هذا الحكم بما إذا كان المعدود المحذوف لفظ (أيام) وجعل حذف التاء هو الموافق لكلام العرب (٥) .

وإنني أرى جواز المطابقة والمخالفة مع العدد الذي حذف معدوده عمومًا مع الأيام وغيرها بدليل وروده في نحو قوله ﷺ : " بني الإسلام

---

(١) البقرة : ٢٣٤ .
(٢) رواه مسلم ٨ : ٥٥ .
(٣) ينظر : معاني القرآن ١ : ١٥١ .
(٤) ينظر : البحر المحيط ٢ : ٢٣٣ - ٢٣٤ .
(٥) حاشية الصبان ٤ : ٦١ .

على خمس شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا " [١]

وأيضا تجوز المطابقة والمخالفة إذا تقدم المعدود على العدد يقول الصبان : " فلو قدم وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها .

كما لو حذف ، تقول : مسائل تسع ورجال تسعة وبالعكس [٢] .

ثالثا : الأعداد المركبة :

أ ــ العددان : ١١ ، ١٢

هذان العددان يطابقان بجزءيهما المعدود تذكيرًا وتأنيثاً قال تعالـــى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ [٣]

وأقول : حفظت إحدى عشرة قصيدة .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾ [٤] وقال تعالى : ﴿ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ [٥]

وقد ورد ما يوهم خلاف ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ [٦] إذ إن المعدود محذوف والتقدير : اثنتى عشرة فرقة أو أمة و (أسباطًا) بدل من : (اثنتى عشرة) [٧] وقال النسفي (اثنتى عشرة قبيلة) [٨] .

---

(١) رواه البخاري ١ : ٦٤ ومسلم ١٦ : ١٨٧ .
(٢) حاشية الصبان ٤ : ٦١ .
(٣) يوسف : ٤ .
(٤) التوبة : ٣٦ .
(٥) البقرة : ٦٠ .
(٦) الأعراف : ١٦٠ .
(٧) ينظر : مشكل مكي : ٢٨٩ .
(٨) النسفي ٢ : ٨١ .

ب ــ الأعداد من : ١٣ ــ ١٩

هذه الأعداد الجزء الأول منها يخالف المعدود ، والجزء الثاني يوافقه كما في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ [١] .

أي : ملكا [٢] .

رابعاً : ما كان من العدد على وزن (فاعل) :

يصاغ من لفظ العدد اثنين وعشرة وما بينهما اسم فاعل على وزن (فاعل) فيذكر مع المعدود المذكر ، ويؤنث مع المؤنث ، فيقال : ثان ، وثالث ، ورابع ، وخامس إلى : عاشر ، أو واحد وواحدة فإنه موضوع من أول أمره على هذه الصيغة .

وقد ورد هذا النوع من العدد في القرآن الكريم على الصور التالية :

الأولى : ورد مفردا ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [٣] أي : برسول ثالث . وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ [٤]

الثانية : ورد مضافاً إلى ما صيغ منه ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ﴾ [٥]

الثالثة : ورد مستعملاً مع ما قبله ليكون المعنى على الصيرورة ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ

---

(١) المدثر : ٣٠ .
(٢) تفسير ابن كثير ٨ : ٢١٠ .
(٣) يس : ١٤ .
(٤) النجم ١٩ ، ٢٠ .
(٥) التوبة : ٤٠ .

سَادِسُهُمْ ﴾ [١] أي : إلا هو مصيرهم أربعة ومصيرهم ستة [٢] .

وإذا صيغ اسم الفاعل من العدد المركب فإنه يجب فيه المطابقة مع معدوده تذكيرًا وتأنيثًا ، فيقال : قرأت الجزء الخامس عشر وحفظت السورة السادسة عشرة ، بالبناء ــ كذلك ــ على فتح الجزءين .

---

(١) المجادلة : ٧ .
(٢) شرح التصريح ٢ : ٢٧٧ .

خاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد ...

فبعد دراسة ظاهرة المطابقة في الدرس النحوي استطعت أن أخلص منها ببعض النتائج ، من أهمها :

١ ــ أن دراسة مثل هذه الظواهر في لغتنا العربية ــ المشرّفة بنزول القرآن الكريم بها ــ توضح لنا مدى مرونة اللغة واتساعها ، كما أنها تقف بنا على أسرار لم تتوافر لغيرها من لغات الأرض .

٢ ــ أن المطابقة وردت في القرآن الكريم على أصلها وما ورد ــ في الظاهر ــ مخالفًا كانت التوجيهات فيه مبنية على ما يلي :

أ ــ مراعاة المعنى ، كاستعمال (الذي) بمعنى (الذين) في نحو قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً ﴾ [١] .

ب ــ مراعاة التفسير اللغوي ، كتفسير (الصبر) بـ (الصوم) في قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ ﴾ [٢] .

جـ ــ مراعاة ظاهرة أخرى من ظواهر اللغة ، كما عاد الضمير مفردًا مؤنثًا في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ

---

(١) البقرة : ١٧ . وينظر البحث : ١٢ .
(٢) البقرة : ٤٥ . وينظر البحث : ١٦ .

يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [١] حيث خرجت الآية على التغليب ، تغليب الفضة على الذهب فعاد الضمير إليها .

د ــ مراعاة الجنس العام ، حيث عاد الضمير جمعًا مذكرًا على لفظ المفرد في قوله تعالى : ﴿ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ [٢]

هـ ــ مراعاة الصناعة اللفظية في نحو قوله تعالى : ﴿هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [٣] حيث وقع الجمع (بصائر) خبرًا عن اسم الإشارة وهو مفرد على تقدير حذف مضاف والتقدير : هذا ذو بصائر .

وفي نحو قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ [٤] على تقدير حذف موصوف أي : ولا تكونوا أول فريق كافر .

و ــ مراعاة اللهجات العربية المعتمدة حيث وجه قوله تعالى : ﴿ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ [٥] وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [٦] على لغة بني الحارث بن كعب الذين يلحقون علامة التثنية والجمع مع الفاعل المثنى ، والفاعل المجموع إلى غير ذلك من النتائج مما هو واضح في طيات البحث .

وبعد ... فإنني آمل أن أكون قد كشفت عن ظاهرة من ظواهر لغتنا العربية ، كان دوري في هذه الدراسة النظر في تراثنا العربي الأصيل وما خلفه علماؤنا من كنور ولآلئ في طيات كتبهم ، وجمعه وترتيبه ،

---

(١) التوبة : ٣٤ . وينظر البحث : ٢١ .
(٢) النور : ٣١ . وينظر البحث : ٢٦ .
(٣) الأعراف : ٢٠٣ . وينظر البحث : ٤٠ .
(٤) البقرة : ٤١ . وينظر البحث : ١٠٧ .
(٥) الأنبياء : ٣ . وينظر البحث : ٧٢ .
(٦) المائدة : ٧١ .

والترجيح ، والاختيار بأدلة موضوعية ومنهجية ، وحاولت أن أجمع الدراسة بين دفتين ليسهل الرجوع إليها والإفادة منها .

فإن أكن قد وفقت فذاك المأمول ولله الحمد والمنة ، وإن كانت الأخرى فحسبي المحاولة والاجتهاد .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د / عوض إسماعيل عبد الله
أستاذ اللغويات المساعد
في كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين ــ القاهرة

أهم المصادر والمراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر لأحمد الدمياطي ــ مطبعة حقي بمصر ــ ١٣٥٩هـ .

٣ ــ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأب حيان الأندلسي ، تحقيق / مصطفى النماس ــ مطبعة المدني ــ القاهرة ١٩٨٨م .

٤ ــ أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ــ تحقيق محمد بهجة البيطار ــ بدون .

٥ ــ الأشباه والنظائر في النحو للعلامة السيوطي ــ دار الكتب العربية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

٦ ــ الأصول في النحو لابن السراج ــ تحقيق / عبد الحسين الفتلي ــ مؤسسة الرسالة ــ الطبعة الثالثة ١٩٩٦م .

٧ ــ الإقناع في القراءات السبع للإمام أبي جعفر الأنصاري تحقيق الشيخ / أحمد فريد المزيدي ــ دار الكتاب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

٨ ــ أمالي ابن الشجري ــ تحقيق / د. محمود الطناحي ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة . بدون .

٩ ــ إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن لأبي البقاء العكبري ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٧٩م .

١٠ ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام تحقيق الشيخ / محمد محيي الدين عبد الحميد ــ المكتبة العصرية صيدا ــ بيروت ــ بدون .

١١ ــ الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب تحقيق / موسى بناي العليلي ــ مطبعة العاني ــ بغداد ١٩٨٢م .
١٢ ــ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي تحقيق الشيـــــــخ / عادل عبد الموجود وآخرين ــ دار الكتب العلمية بيروت ــ ١٩٩٣م .
١٣ ــ البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ــ بدون .
١٤ ــ البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ــ دار الصحابة بطنطا ط ١ ــ ٢٠٠٧ .
١٥ ــ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لأبي البركات الأنباري ــ تحقيق د / رمضان عبد التواب ــ دار الكتب والوثائق القومية ٢٠٠٩م .
١٦ ــ البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ــ تحقيق د/ طه عبد الحميد طه ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م .
١٧ ــ تخريج أحاديث الرضي في شرح الكافية لعبد القادر البغدادي تحقيق د/ محمود فجال يوسف ــ منشورات نادي المنطقة الشرقية الأدبي بالدمام ــ بدون .
١٨ ــ تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام ــ تحقيق د/ عباس مصطفى الصالحي ــ دار الكتاب العربي ــ الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
١٩ ــ تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ــ دار المصحف ــ القاهرة ــ بدون .

٢٠ ــ تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ــ تحقيق د/ حمزة النشرتي وآخر ين ــ مكتبة الأصولي ــ دمنهور ١٤١٨هـ .

٢١ ــ تفسير القرآن العظيم للعلامة ابن كثير علق عليه وخرّج أحاديثه هاني الحاج ــ المكتبة التوفيقية ــ ٢٠٠٩م .

٢٢ ــ تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل ــ دار الفكر.

٢٣ ــ تفسير النهر الماد من البحر المحيط لأبي حيان ــ تقديم وضبط / وهديان الضناوي ، وبوران الضناوي ــ دار الجنان ــ الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٢٤ ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري ــ دار الفكر ــ ١٩٨٥م .

٢٥ ــ الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ــ تحقيق / أحمد عبد العليم البردوني ــ دار الشعب ــ القاهرة ــ ١٩٥٢م .

٢٦ ــ حاشية الأمير على المغني ــ دار إحياء الكتب العربية ــ مطبعة الحلبي ــ .

٢٧ ــ حاشية الجمل على الجلالين ــ عيسى البابي الحلبي .

٢٨ ــ حاشية الصاوي على الجلالين ــ الطبعة الأخيرة ــ مراجعة الشيخ الضباع ــ مصطفى البابي الحلبي .

٢٩ ــ حاشية الصبان على الأشموني ــ دار إحياء الكتب العربية ــ فيصل الحلبي .

٣٠ ــ حاشية الشيخ يس على شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ــ الحلبي .

٣١ ــ حاشية الشيخ يس على شرح الفاكهي على قطر الندي ــ الطبعة الثانية ١٩٧١م .

٣٢ ــ الخصائص لابن جني ــ تحقيق محمد علي النجار ــ دار الهدى للطباعة والنشر ــ بيروت ــ الطبعة الثانية .

٣٣ ــ دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ــ دار الحديث ــ القاهرة .

٣٤ ــ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ــ تحقيق د/ أحمد محمد الخراط ــ دار القلم ــ دمشق .

٣٥ ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ١٩٨٤م .

٣٦ ــ زاد المسير في علم التفسير لعبد الرحمن الجوزي ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الثالثة ــ ١٩٨٤م .

٣٧ ــ شرح الأشموني على الألفية ــ دار إحياء الكتب العربية ــ الحلبي.

٣٨ ــ شرح ابن عقيل على الألفية ــ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ــ ١٩٧٧م .

٣٩ ــ شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ــ دار إحياء الكتب العربية ــ الحلبي .

٤٠ ــ شرح شذور الذهب ــ في معرفة كلام العرب لابن هشام ــ تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد .

٤١ ــ شرح شواهد العيني على الأشموني ــ دار إحياء الكتب العربية ــ الحلبي .

٤٢ ــ شرح قطر الندي وبل الصدى لابن هشام تحقيق / بركات يوسف هبود ــ دار الفكر ــ بيروت ١٩٩٨م .

٤٣ ــ شرح كافية ابن الحاجب لرضي الدين الاستراباذي ــ تحقيق د/ يوسف عمر ــ مؤسسة الصادق ــ طهران .

٤٤ ــ شرح الكافية الشافية لابن مالك ــ تحقيق علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ٢٠٠٠م

٤٥ ــ شرح المفصل لابن يعيش ــ عالم الكتب ــ بيروت .

٤٦ ــ فتح القدير للإمام الشوكاني ــ دار الفكر ــ بيروت .

٤٧ ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ــ تحقيق وتعليق / عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ــ مكتبة العبيكان ــ ط الأولى ١٩٩٨م .

٤٨ ــ الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها عُلي بن أبي طالب ــ تحقيق د/ محيي الدين رمضان ــ مؤسسة الرسالة ــ الطبعة الخامسة ــ ١٩٩٧م .

٤٩ ــ لسان العرب لابن منظور ــ دار صادر ــ بيروت ــ الطبعة الأولى .

٥٠ ــ مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه ــ مكتبة المتنبي ــ القاهرة

٥١ ــ مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ــ تحقيق ياسين محمد السواس ــ دار اليمامة ــ دمشق ــ الطبعة الثالثة .

٥٢ ــ معالم التنزيل للبغوي ــ تحقيق / خالد العلا ومروان سوار ــ دار المعرفة ــ بيروت ١٩٨٠م .

٥٣ ــ معاني القرآن لأبي سعيد بن مسعدة (الأخفش) تحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد ــ عالم الكتب ــ الطبعة الأولى ١٩٨٥م .

٥٤ ــ معاني القرآن وإعرابه للزجاج شرح وتحقيق د/ عبد الجليل شلبي ــ عالم الكتب ــ الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

٥٥ ــ معاني القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار ــ دار السرور ــ بيروت .
٥٦ ــ معاني القرآن للكسائي ، أعاد بناءه وقدم له عيسى شحاتة عيسى ــ الناشر : دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٨م .
٥٧ ــ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ــ تحقيق محمد ومحيي الدين عبد الحميد ــ دار إحياء التراث العربي .
٥٨ ــ مقالات هامة لابن هشام في اللغة والأدب والنحو والصرف تحقيق / د، نسيب نشاوي ــ دار الجيل ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٩١م .
٥٩ ــ المقتضب للمبرد تحقيق الشيخ / محمد عبد الخالق عضيمة ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤م .
٦٠ ــ نتائج الفكر في النحو للسهيلي ــ تحقيق / محمد إبراهيم البنا ــ مطابع الشروق ــ بيروت .
٦١ ــ النشر في القراءات العشر لابن الجزري تصحيح ومراجعه / محمد على الضباع ــ مطبعة مصطفى محمد ــ القاهرة .
٦٢ ــ النحو الوافي للدكتور / عباس حسن .
٦٣ ــ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للعلامة السيوطي ــ مكتبة الكليات الأزهرية ــ الطبعة الأولى ١٣٢٧هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ـ مقدمة	٣
ـ تمهيد	٦
ـ المبحث الأول : المطابقة في باب الضمائر	٩
ـ المطابقة في الضمير الرابط بين اسم الموصول وصلته	٣٢
ـ المبحث الثاني : المطابقة في باب المبتدأ والخبر	٣٨
ملحقات بالمطابقة في باب المبتدأ والخبر	٥٧
ـ المبحث الثالث : المطابقة في باب الفاعل	٦٣
ـ المبحث الرابع : المطابقة في باب التوابع	٧٥
ـ المبحث الخامس : المطابقة في باب أفعل التفضيل	١٠٤
ـ المبحث السادس : المطابقة في باب العدد	١١٠
ـ خاتمة	١١٦
ـ أهم المصادر والمراجع	١١٩
ـ فهرس الموضوعات	١٢٥